روايات مصرية للجيب

الكمبيوتر يحكم

20

رءوف وصفي

سلسلة نوفا
للخيال العلمي

Looloo
www.dvd4arab.com

مقـدمة

الكَوْن بحر أبدى .. لا نهائى .. تبحر فيه أعداد هائلة من النجوم والكواكب .. بعضها له سرعة الشهب .. والأخرى تتحرَّك بجلال وخلود ..
وحتى نتمكَّن من الدخول إلى هذا العالم العلوى غير المنظور ، يجب أن نفتح عقولنا ، حتى تتسع لكل ما لم نكن نصدِّقه من قبل ..
أعدادها هائلة ، مجموعات خياليَة ، ومتنوِّعة من الأجرام السماوية .. اتساع لا حدود له للدوَّامة الكونيَّة ..
يجب أن ننسى السرعات والمسافات المألوفة لنا فى حياتنا الأرضية ..
علينا أن نلقى بثوانينا ، سنواتنا وحتى بأعمارنا كلها ، كوحدات لقياس السرعة والزمن ..
يجب أن نفكر بدلالة خمس عشرة ألف مليون عام ، وهو عمر الكون ..
نفكر بمقياس اللانهاية .. كعمق للكون ..
علينا أن نسمح لأفكارنا أن تتعلق بشعاع الشمس الباهر ..
أو بضوء نجم متألق .. يبعد عنا بملايين الملايين من الكيلومترات ..
على أفكارنا أن تمرُق بسرعة الضوء الهائلة ..
عليها أن تبحر .. وتسافر .. وتنطلق .. لتصل إلى المدى الذى لم تبلغه العين البشرية من قبل ..
فإذا سمحنا لعقولنا .. لخيالنا .. أن ينطلق بلا حدود ، فإننا عندئذ نبدأ فى تصوُّر لجزء من المشهد المجسم الرائع ، الذى نسمِّيه الكَوْن ..
فمهما ترنَّمنا بكلمات تعزف على قيثارة الغموض ..
أو دخلنا فى تفسيرات للمجهول .. تتعالى هائمة بين السحب ..
كل هذا يتبدَّد تحت ضوء الإيمان المنبثق من عظمة وروْعة الكَوْن ..
ويخضع العقل الإنسانى للقُدرة الإلٰهية .. كلما تطلع إلى السماء ..
ويستسلم تمامًا فى خشوع وتعبد ، لذلك النظام الرائع ، والتنسيق الإلٰهى الخالد .. لكل ذرَّة فى الكَوْن ..
وأيضًا للأسرار التى تهبط إلينا فى ثؤدَة ..
وحكمة الخالق (سبحانه وتعالى) ..

رءوف وصفى

سلسلة **نوفا** للخيال العلمىَ

سرّ الحياة الثانية

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٨٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٣٧٠٠٢

همست الآلات .. وتأوهت ..
فتغيرت حياة إنسان !
كان رجلاً عجوزًا مثقلاً بالإجهاد والأسى ..
لكن الآن بعد أن زال الحمل عن كاهله ..
وسقطت عنه سنو عمره .
وأصبح شابًا مرة أخرى ..
شعر بالدماء الحارة تسرى فى عروقه ..
وبالقوة والإثارة تنبض فى أعصابه ..
وبعافية الشباب الذى ولّى منذ زمن ..
وكان يعنى المغامرة التى تدعوه إليها .. وتستهويه ..
إلى مجرات .. ونجوم .. وكواكب بعيدة ..
صاح (فؤاد شهدى) ..
الذى كان عجوزًا من قبل ..
صيحة شابة مرحة ..
كانت هى رده الوحيد .. على هذا النداء المفعم بالحيوية !

ـ ١ ـ

وصلت رسالة عاجلة إلى قمر الأرض ..
بعد أن برقت عَبْر ملايين الكيلومترات من الفراغ .
انطلقت بتردد موجىَ .. سرىَ .
لا يعلمه سوى عدد قليل من البشر ..

وخلال الفضاء الخالى ..
وردًا على هذه الاستدعاءات المتكررة ..
جاءت سفينة فضاء .. من أعماق الكون ..
متجهة إلى (يوروبا) قمر كوكب المشترى .. ذى الهواء الصناعى ..
وفيها رجل حقيقى .. وروبوت .. وكمبيوتر طائر!
اتجهت سفينة الفضاء إلى الجانب المظلم من (يوروبا) .
كما لو كانت نيزكًا ضخمًا ..
ثم هبطت فى منطقة حراسة ..
ممنوعة قطعيًا على الجمهور ..
فى المطار الفضائى لقمر المشترى ..
نزل الركاب الثلاثة .. ونظروا حولهم فى الوهج الرائع ..
لكوكب المشترى .. عملاق المجموعة الشمسية ..
ثم سمعوا خطوات خفيفة سريعة ..
والصوت الدافئ المميز (لشيرين مجدى) :
ـ كابتن (عادل) !
وتألقت العينان الذهبيتان .. ولمع الشعر الكستنائى الفاتح ..
ثم أردفت بصوت هامس .. وبسرور فائق .. وبعواطف نبيلة صادقة :
ـ .. كنت أعرف أنك سوف تسرع فى الحضور !

قبض كابتن الفضاء (عادل أشرف) على يدى (شيرين) المتوترتين الممتدين إليه ..

وظن للحظة أنها على وشك البكاء ..

تحدث إليها بحنان .. دون أن يعطيها أى وقت لجيشان عواطفها :

ـ (شيرين) ! ما كل هذا الهراء حول (فؤاد) ؟ لو كان أحد غيرك بعث بهذه الرسالة .. لما صدقته !

أومأت برأسها الفاتن وقالت :

ـ هذا صحيح يا (عادل) ! لقد ذهب .. وأعتقد أنه لن يعود أبدًا !

هزها كابتن الفضاء قائلاً :

ـ ماذا تقولين يا (شيرين) ؟ (فؤاد) ! لقد كان يذرع أرجاء المجموعة الشمسية قبل أن نولد أنا وأنت ! فى الأيام الخوالى لحدود الحراسة الفضائية ! إنه لا يمكن أن يزج بنفسه فى أى ورطة .. فخبرته طويلة !

قالت (شيرين) بصوت منخض فيه رنة حزن :

ـ لقد فعل هذا ! وسوف أريك الآن كل المعلومات المتاحة لى .. لترى بنفسك !

ثم قادت المجموعة تجاه المبانى المنخفضة ..

لمقر رئاسة دوريات الحراسة لما بين نجوم مجرة (الطريق اللبنى) ..

وتبعها الثلاثة ..

شاب طويل القامة .. ذو وجه وسيم .. وشعر أسود قصير .. رياضى الجسم .. وهو الذى أطلقت عليه المجموعة الشمسية اسم (كابتن الفضاء) ..

وصندوق معدنى صغير .. مربع الشكل .. له وجه غريب .. وعينان صناعيتان .. من العدسات البللورية .. وفم رنان .. يشعر بالإحساسين البصرى والسمعى اللذين تحققهما له الأعضاء الصناعية .. وداخله مخ بشرى ينبض ..

إنه الكمبيوتر الطائر (نبيل صبرى) ..

وهيكل معدنى عملاق .. يتخذ الشكل البشرى .. ذو عينين فيروزيتين .. وذكاء صناعى ..

هو الروبوت (فهد) ..

تحدث الكمبيوتر الطائر إلى (شيرين) :

ـ تقولين : إن (فؤاد) ذهب ! ترى إلى أين ؟

حملقت (شيرين) فيه .. وهو يراقبها باهتمام بعينيه الشبيهتين بعدستين ..

بينما كان يتحرك على طول الأشعة الكهرومغنطيسية الشاحبة ...

التى كانت بالنسبة له بمثابة الأعضاء الصناعية ..

قالت (شيرين) وفى صوتها رنة ضيق :

ـ لو كنت أعرف مكانه لما أخفيته عنكم !

وبعد أن صمتت لعدة ثوان .. استطردت قائلة :

ـ ... آسفة .. الانتظار هنا سبب لى اكتئابًا .. هناك شىء مّا بخصوص القمر (يوروبا) .. إنه يبدو كرجل عجوز .. صبور .. ولكنه قاس !

قال (فهد) بصوت مشفق .. عطوف :

ـ يبدو أنك متعبة حقًا يا (شيرين) !

لم يسمع هذا سوى كابتن الفضاء بصعوبة ..

الذى تابعت نظراته القلقة .. (شيرين) .. وهى تخرج إلى ليل القمر الغريب !

★ ★ ★

لم تكن هذه أول رحلة للكابتن (عادل) إلى القمر (يوروبا) .. ودهش عندما وجد أن (شيرين) قد عبرت بكلماتها .. عما يشعر به دائمًا بالنسبة لهذا القمر الضخم ..

القمر العجوز ! التى كانت تشققات صخوره .. وعلاماته السطحية عميقة بمرور الزمن ..

آلاف الملايين من السنين .

وهنا فى أحد جانبى القمر .. كان الضوء الحديث ..

والصوت المدوى للميناء الفضائى .. دائب النشاط بسفن الفضاء المنتظمة ..

فى خطوط ملاحة عبر كواكب المجموعة الشمسية ..

ووراء الميناء الفضائى .. ربضت (مدينة النجوم) ..

كانت عبارة عن وهج ضوئى .. خلف سلسلة تلال وبراكين قاحلة ..

لكن فى الجانب الآخر من القمر (يوروبا) .. لم يكن هناك سوى كآبة الصخور القديمة وغابة ساكنة تكتنفها الظلال ..

ووديان شاسعة خالية .. وسط الضياء القرمزى لكوكب المشترى ..

لم ترع فيها أى قطعان ماشية ..

أو حاربت فوقها أى جيوش .. منذ مئات السنين ..

عندما كانت الإمبراطورية الفضائية .. تزدهر !

كانت هياكل المدن التى تآكلت بفعل الزمن ..

مهجورة قبل أن يتحول ساكنوها .

من سلالة الذين بنوها .. إلى عصر الهمجية الأخيرة ..

وجالت رياح باردة .. بلا هدى ..

بين الحطام والخرائب والأنقاض ..

وكانت تعوى .. وتئن ..

كما لو أنها تتذكر الأيام الخوالى .. وتبكى !

لم يستطع كابتن الفضاء أن يكبت ارتعادة خفيفة .. شملت كل جسمه ..

إن موت أية حضارة ضخمة .. أمر يسبب الحزن والأسى .. خاصة وأن تلك الحضارة التى أنشأت مدن (يوروبا) المتألقة ..

كانت أعظم الحضارات !

الإمبراطورية الفضائية القديمة ..

التى سيطرت ذات يوم .. على مجرتين !

وبالنسبة للكابتن (عادل أشرف) الذى يتمنى تتبع ظلال هذا المجد .. إلى مصدره .. منذ عهود سحيقة مضت ..

كانت أحجار هذه الأطلال .. تتحدث عن المأساة الكونية .. عن الليل السرمدى .. الذى أعقب انهيار الإمبراطورية !

★ ★ ★

أعاد التألق القوى لمبنى دوريات الحراسة الفضائية .. عقله إلى الوقت الحاضر ..

القرن الحادى والعشرين ..

أدخلتهم (شيرين) إلى مكتب صغير ..

وأخرجت من صف طويل .. ملفًا أنيقًا من الورق المصقول .. ووضعته فوق منضدة بللورية .. وقالت :

ـ لقد كلفتنا القيادة أنا و (فؤاد شهدى) هذه القضية .. منذ وقت مضى .. وكانت شرطة الكواكب تبحث هذا الموضوع كأمر روتينى .. حتى برزت بعض النواحى التى استلزمت اهتمامًا خاصًا ..

اعتدل كابتن الفضاء فى جلسته ..

واقترب الكمبيوتر الطائر من الملف ..

وتحرك الروبوت (فهد) قليلاً .. إلى الأمام ..

تريثت (شيرين) ثم أردفت فى تؤدة :

ـ .. كان الناس يختفون ! ليس فقط الذين فوق كوكب الأرض .. ولكن فى باقى كواكب المجموعة الشمسية أيضًا ! وكانوا جميعًا من كبار السن .. وفى كل مرة يختفى فيها أحدهم .. كانت تختفى كذلك معظم ثروته ! واكتشفت شرطة الكواكب أن هؤلاء المفقودين بدون استثناء .. حضروا إلى القمر (يوروبا) .. وأن آثارهم انتهت هنا فى (مدينة النجوم) !

سألها الكمبيوتر الطائر بصوت هادئ :

ـ ألم يتركوا أى دليل بخصوص سبب حضورهم إلى هذا القمر بالذات ؟

أجابته (شيرين) فى صراحة :

ـ قليل جدًا منهم تحدثوا عن شىء ما يسمى (الحياة الثانية) .. هذا كل ما فى الأمر !

مجرد اسم .. لكنهم بدوا متحمسين وقلقين بهذا الصدد .. بحيث إننا تذكرناه !

تمهلت لعدة ثوان ثم استطردت قائلة :

ـ .. نظرًا لأنهم كانوا جميعًا من المسنين .. فإنه يبدو أن

(الحياة الثانية) التى كانوا يأملون فيها .. هى نوع من استعادة الشباب .. وتجديد الحيوية المفقودة ..

ولا ريب أن هذا الأمر ذو طبيعة غير مشروعة .. وإلا لما كان يتم تنفيذه بطريقة سرية !

أومأ كابتن الفضاء برأسه موافقًا وقال :

ـ إن هذا يبدو معقولاً فعلاً .. (الحياة الثانية) .. إنه تعبير جديد بالنسبة لى ..

وربما رأيته فى كتاب الموتى لقدماء المصريين ! ومع ذلك فقد احتفظ عملاق المجموعة الشمسية .. كوكب المشترى وأقماره بالحضارة .. وبعلوم الإمبراطورية القديمة .. لسنوات طويلة ..

قال (نبيل صبرى) الكمبيوتر الطائر بلهجة جافة :

ـ لا شك أنكم تتذكرون عدة قضايا .. تدل على أن القمر (يوروبا) .. كانت له دائمًا سمعته .. كمستودع للمعلومات التى اختفت من كل المجموعة الشمسية .. إنها مشكلة محيرة فعلاً .. وأنا أعتقد ....

قطعت عليه (شيرين) حبل أفكاره .. وهى فى أشد حالات الغضب قائلة :

ـ هل ستبدآن أنت والكابتن (عادل) فى استعراض هذه الهواجس .. بشأن الحضارة القديمة فى وقت كهذا ؟ لعل (فؤاد) قد مات .. أو أنه يحتضر الآن !

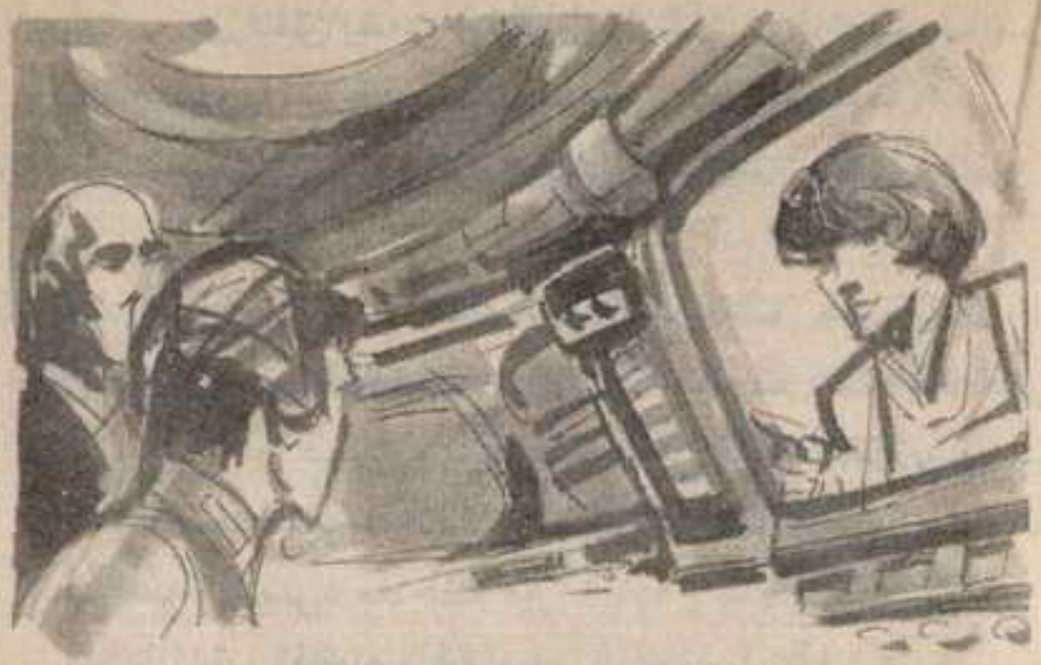

قال كابتن الفضاء بهدوء :

ـ اهدئى يا (شيرين) ! إنك لم تذكرى لنا حتى الآن .. ما الذى حدث بالضبط لزميلنا (فؤاد) !

أخذت (شيرين) نفسًا عميقًا .. وواصلت حديثها بشكل أكثر هدوءًا :

ـ عندما حضرنا إلى هنا لاستقصاء الأمر .. وجدنا أن الأشخاص المفقودين الذين جاءوا إلى القمر (يوروبا) .. قد اختفوا عن الأنظار .. ورفض السكان المحليون التحدث إلينا .. لكن (فؤاد) لم يستسلم وواصل العمل حتى نجح أخيرًا ..

واكتشف أن الأشخاص المفقودين استأجروا وسائل ركوب

محلية .. من فندق يسمى (الأقمار الثلاثة) وخرجوا بها من (مدينة النجوم) .. إلى مكان مجهول !

تريثت (شيرين) قليلاً ثم أردفت وقد أحست بالتأثر فجأة .. قالت :

ـ .... قرر (فؤاد) اقتفاء أثر هذه الرحلات حتى التلال .. على أن أظل فى انتظاره هنا .. وفعلاً انتظرت عدة أيام حتى اتصل بى .. عن طريق جهازنا اللاسلكى الذى يعمل بموجات دقيقة .. وتحدث إلىّ باختصار شديد ثم قطع الاتصال .. ولم أسمع عنه أى شىء بعد ذلك !

سألها كابتن الفضاء باهتمام :

ـ وما هى رسالته هذه ؟

أمسكت (شيرين) بقصاصة ورق ، وقالت :

ـ لقد كتبتها كلمة كلمة !

أخذها الكابتن (عادل) وأخذ يقرأ منها بصوت عال :

ـ (شيرين) ! أنصتى إلىّ جيدًا .. إننى بخير وفى أمان وسعيد ! ولكننى لن أعود لفترة ما ! والآن اعتبرى هذا أمرًا مباشرًا : أوقفى البحث وعودى إلى كوكب الأرض .. وسوف ألحق بك فيما بعد !

كان هذا كل ما فى الرسالة !

قال الروبوت (فهد) بدون تردد :

ـ لقد أجبر (فؤاد) على إجراء هذا الاتصال !

هزت (شيرين) رأسها وقالت :

ـ لا أظن ، فلدينا شفرة سرية ! كان يمكنه أن يقول لى نفس الكلمات ..

ويشعرنى بأنه يتحدث تحت ضغط .. باتباع أسلوب معين فى الحديث !

تريثت للحظة واحدة ثم أضافت مؤكدة :

ـ .... إن (فؤاد) كان يتحدث بإرادته الحرة فقط !

أبدى الروبوت (فهد) رأيه :

ـ لعله وقع فى عملية تجديد الشباب هذه .. أيا كانت !

قال الكمبيوتر الطائر فى حسم :

ـ لا ! (فؤاد شهدى) لا يرتكب شيئًا سخيفا كهذا !

هز كابتن الفضاء رأسه موافقًا وقال :

ـ لقد عانى (فؤاد) مآسى كثيرة فى حياته .. لا يعرفها سوى القليلين من الناس .. وهذا هو السبب فى تجهمه الدائم .. إنه لا يريد أن يحيا حياة ثانية !

غمغم الروبوت (فهد) :

ـ (حياة ثانية) ! إن الاسم يوحى بشىء ما .. فى ذاكرتى الإلكترونية .. لا أدرى ما هو !

نهض الكابتن (عادل) وقال :

ـ إن هذه ليست قضية براعة ودهاء ! ربما يكون (فؤاد) فى خطر .. وعلينا أن نتحرك بسرعة .. سوف نتجه إلى (مدينة النجوم) .. ونرغم كل من يعرف شيئًا .. على أن يتحدث معنا !

لمعت عينا الكمبيوتر الطائر .. وتحرك نحو الباب ..

وأخذ الروبوت (فهد) خطوات ذات فرقعة عالية ..

بدا القلق على وجه (شيرين) وقالت :

ـ كابتن (عادل) ! انتظر ! أنت تعرف أن دورية الحراسة الفضائية ..

لا يمكنها حسب القانون أن تعتقل أحد مواطنى قمر (يوروبا) !

ابتسم كابتن الفضاء وقال :

ـ إننا لسنا دورية الحراسة الفضائية ! وعلى أى حال فسوف نتحمل نتيجة تصرفاتنا !

صرخت قائلة :

ـ ليس هذا ! إننى أشعر بأنه منذ اختفاء (فؤاد) .. وهناك من يتوقع حضوركم .. ويستعد له !

أومأ كابتن الفضاء برأسه فى وقار وقال :

ـ سوف نواجه أى أخطار محتملة !

ثم التفت إلى الكمبيوتر الطائر وأردف قائلاً :

ـ (نبيل) ! انتظر هنا .. واستعرض كل ما لدى (شيرين)

من معلومات عن القضية حتى نعود !

تردد (نبيل صبرى) وقال بصوته الرنان .. المميز :

ـ ولكنكما لا تعرفان أنواع المصاعب التى سوف تصادفكما ! أنتما فى حاجة إلىّ !

ردّ كابتن الفضاء فى تؤدة :

ـ (شيرين) محتاجة إليك أكثر ! فهى معرضة للخطر مثلنا تمامًا !

خرج الكابتن (عادل أشرف) .. وتبعه الروبوت (فهد) ..

سارا معًا مسرعين تجاه منحدر التلال المنخفضة ..

التى تقبع (مدينة النجوم) وراءها ..

ثارت الأتربة الرقيقة تحت أقدامهما ..

وأطلقت الرياح القديمة ..

أغنية الخطر ..

من ذكرياتها الطويلة .. عن الدماء والموت !

ـ ٢ ـ

كانت (مدينة النجوم) تقع فى منخفض ضحل ..

بين بروزين لسلسلة جبال متآكلة بفعل العصور ..

بحيث أصبحت الآن أكثر قليلاً من مجرد خط من التلال ..

وتحت الوهج القرمزى لكوكب المشترى ..

ارتفعت الأبراج الشامخة ..

وسط ضباب أحمر قان ..
خفف من تشققات الصخور المتحطمة ..
وملأ الضوء الشاحب صفوف الأعمدة غير المسقوفة ..
والممرات الفخمة الفارغة ..
التى تحف على جانبيها الأشجار ..
وألقيت لمسات أسى متقطعة .. وحزينة ..
على الجبال المجهولة التى عمرت كثيرًا ..
بعد انتصارات الإمبراطورية القديمة ..
التى طواها النسيان !

★ ★ ★

وقف كابتن الفضاء (عادل أشرف) فى طريق ساكن .. وظليل ..
وأنصت للصمت الذى ران على المكان ..
وأمكنه أن يرى على الجانب الآخر من سلسلة الجبال ..
المستعمرات الجديدة .. القريبة من الميناء الفضائى ..
كانت بعيدة فى المكان .. والزمان أيضًا !
ظهرت هناك أضواء ساطعة من المبانى الفولاذية ..
والبلاستيكية الحديثة ..
تتوجها واجهة بيضاء لمبنى ضخم .. غريب !
وبدت الأحجار السطحية تحت أقدامهما .. مفرَغة ..

بعد أن أكلها .. ونخر عظامها مرور أجيال عديدة عليها ..
وارتفعت على كلا الجانبين .. بعض الهياكل ناقصة البناء ..
وضوء القمر (أيو) النحاسى اللون .
يلمع من خلال جسورها المقوسة الرائعة ..
وبعض المبانى الأخرى .. مازال كاملاً مقبول الشكل ..
وبفتحات نوافذ تشبه العيون المتدفقة !
حنى كابتن الفضاء رأسه وقال :
ـ (فهد) ! إن هناك من يراقبنا !
كان هذا إحساسًا قويًا يراوده :
دون حاجة للرؤية بالعين !
خرجا إلى مربع فسيح تتفرع منه طرق كثيرة ..
وفى الوسط .. يوجد أثر باق لتمثال هائل مجنح ..
غطته الرياح والأتربة لآلاف السنين !
لدرجة أنه بدا كهيكل غريب .. شاذ ..
وجناحاه المتآكلان متجهان إلى الفضاء ..
تريث الكابتن (عادل أشرف) .. والروبوت (فهد) ..
كشبحين ضئيلين بجوار هذا التمثال المرمرى الأخضر ..
الذى يصل طوله إلى خمسين مترًا !
كان الميدان ساكنًا تمامًا ..
والطرق المهجورة المحاطة بالأشجار ..

تمتد فى كل اتجاه .. وسط ظلال متلبدة ..
وارتفعت القصور المهدمة .. والمعابد المحطمة .. إلى أعلى ..
تجاه آلهة قديمة مجهولة !
وما زالت أنقاضها باقية فى اكتئاب ..
وهى تتذكر رايات النصر .. وزهو المجد ..
عبق البخور .. والملابس الخضراء الموشاة بالذهب !

★ ★ ★

بدت علامات الحياة فى عدد من هذه الطرق ..
حيث دل الضوء الساطع على وجود بعض المتاجر ..
قال كابتن الفضاء :
ـ (فهد) ! هيا بنا إلى هناك !
سارا معًا .. وأحذيتهما تقرقع فوق الرصيف الصلب ..
دخلا فى الطريق الذى اختاره الكابتن (عادل) :
وبينما هما يسيران .. بدأ يحيط بهما حشد من الناس .. فى هدوء ..
دون أن يضايقوهما ..
كان الرجال سمر الوجوه .. يرتدون عباءات سوداء متربة ..
خرجوا من مداخل البيوت فى صمت ..
وأيضًا جاءوا من وسط الطرقات والممرات ..
.. ومن لا مكان !

لم يكونوا شبابًا .. أو مقاتلين أشداء ..
بل كان معظمهم مسنين .. مُحنِيّى الظهور ..
وبدا أن تقدمهم فى السن ...
أقرب إلى الروح .. منه إلى الجسد !
لم يتكلم أحد منهم ..
ولكنهم أخذوا يراقبون رجل الأرض .. كابتن الفضاء .. الرشيق .. الطويل القامة ..
والروبوت المعدنى العملاق .. الذى يسير بجواره ..
لمعت عيونهم السوداء .. وتبعوا الغريبين ..
كحلقة من الظلال الممزقة .. التى تتزحزح .. وتتدفق وتتكاثف !
سرت قشعريرة فى جسم الكابتن (عادل) ..
كان ذلك محاولة منه .. لإبعاد يده عن قبضة سلاحه الليزرى ..
قال الروبوت (فهد) فى هدوء :
ـ ها هى ذى هناك ! علامة (الأقمار الثلاثة) !
التفت الحشود ناعمة الأقدام .. حولهما ..
والتحمت فى حاجز صامت .. عبْر الطريق المترب ..
توقف الكابتن (عادل) .. ولم يبد عليه الخوف .. أو الغضب ..

وإنما مجرد حب استطلاع !

نظر إلى جدار الرجال بصبر .. لا يقل عن صبرهم ..

خطا رجل أبيض اللحية إلى خارج الحاجز ..

ووقف منتصبًا .. وبدت على وجهه البارز العظام ..

آثار وسامة قديمة ..

فخر شديد مفعم بالحزن ..

وظهر رداؤه باهت اللون من تأثير الأتربة ..

لكنه كان يرتديه مختالاً به ..

كما لوكان مصنوعًا من قماش الملوك الأخضر الموشى بالذهب!

قال الرجل بنوع غريب من الأدب :

ـ لا يوجد مكان هنا لمرور الغرباء !

ابتسم كابتن الفضاء وقال :

ـ لاشك أن الرجل الجائع .. يود أن يتناول بعض الأطعمة !

هز الرجل العجوز رأسه قائلاً :

ـ إنك لم تأت إلى هنا لتناول الطعام ! ارجع إلى قومك فهذا أفضل لك !

فلن تجد هنا سوى الحزن والندم !

ردَ الكابتن (عادل) ببطء :

ـ لقد قيل لى أيضًا .. إن الآخرين يحضرون إلى هنا بحثًا عن اللهو !

تريث الرجل العجوز لعدة ثوان ثم قال :

- لا يوجد لهو هنا ! أنصت إلىّ .. إننى أقول لك .. ارجع إلى قومك !

نظر كابتن الفضاء من فوق رءوس الرجال المحتشدين حوله ..

كانوا كلهم من كبار السن ..

وكان من المفترض أن يكونوا شبابًا !

ثم تطلع إلى عنوان الفندق (الأقمار الثلاثة) ..

وقال بصوت هادئ .. وهو يحدق فى عينى الرجل العجوز :

- هل ستوقفنى ؟

كان الحزن واضحًا فى عينى العجوز وهو يقول :

- كلا .. إننى لن أمنعك .. ولكننى سوف أقول لك فقط .. إنه لم يحدث أى ضرر لأى رجل أو امرأة حتى الآن .. أما من يأتى إلى هنا بحثًا عن الموت ..

فلا شك أنه سوف يجده !

ردّ الكابتن (عادل) فى تحد :

- سوف أتذكر ذلك !

وبدأ مرة أخرى يتقدم ناحية الحشد ..

فى طريقه إلى فندق (الأقمار الثلاثة) .

والروبوت (فهد) يسير بجواره تمامًا ..

لم تتحرك صفوف الوجوه العدائية .. المحدقة ..

حتى كاد أن يلمسهم !

ثم رفع الرجل العجوز يده .. وتركها تسقط ..

علامة على حسم الأمر !

تفرق الحشد .. وانفتح الطريق أمام كابتن الفضاء و(فهد) .. سارا بثقة .. وخلفهما ابتعد الرجال واحدًا وراء الآخر .. فى هدوء ..

مثلما تبدد الرياح أوراق الأشجار القديمة ..

وتنثرها فى كل مكان !

★ ★ ★

دخل الكابتن (عادل) والروبوت (فهد) .. إلى فندق (الأقمار الثلاثة) ..

كانت القاعة الرئيسية واسعة ..

ذات أسقف حجرية داكنة ..

كما لو كانت منحوتة من الكهرمان الأسود ..

وانبعثت الأضواء من أركان الجدران ..

بينما جلس نحو عشرين من الرجال ..

حول مناضد معدنية ثقيلة .. أثرية ..

نظروا جميعًا إلى الغريبين .. ثم تجاهلوهما ..

جلس كابتن الفضاء و (فهد) فى مكان خال .

ثم أقبلت فتاة قصيرة القامة .. عابسة الوجه ..
أحضرت العصير الذى طلبه الكابتن (عادل) ..
أخذ يرشف السائل الأحمر حلو المذاق .. فى بطء ..
لم يكونا أكثر من مجرد رجلين من كوكب الأرض ..
فى إجازة لهما من المطار الفضائى ..
يقضيان وقتًا ممتعًا فى أحد فنادق (مدينة النجوم) القديمة ..
لاحظ كابتن الفضاء أن العيون متجهة إليهما .. تراقبهما فى قلق ..
ارتعدت عضلاته .. ترقبًا لما يمكن أن يحدث ..
وكانت نظرات (فهد) متألقة دائمًا !
وأخيرًا همس لكابتن الفضاء قائلاً :
ـ إن هذا الشاب الذى يجلس إلى المنضدة المجاورة .. لم يبعد نظره عنا ..
منذ أن جئنا !
ردّ الكابتن (عادل) فى تؤدة :
ـ أعرف ذلك !
وفكر فى أنه لو حدثت معركة ..
فسوف يضطران للتعامل مع مثل هذا الشاب الضخم ..
ذى الوجه الكئيب الشرس .. والنظرات القاسية ..
أومأ إلى الفتاة القصيرة العابسة .. وقال لها :

ـ إننا نريد أن نستقل وسيلة مواصلات إلى التلال !
كان وجه الفتاة خاليًا من أى تعبير وهى تقول :
ـ إن هذه منطقة (شارجو) !
تساءل (فهد) :
ـ وأين يمكن أن نجد (شارجو) ؟
أشارت الفتاة بلا مبالاة .. إلى أحد الممرات المتفرعة من القاعة وقالت :
ـ من خلال هذا الممر .. حيث توجد حظيرة مواش .. خلف الفندق !
وضع كابتن الفضاء عملة معدنية ذهبية على المنضدة المعدنية ..
ثم نهض وهو يقول :
ـ (فهد) هيا بنا .. فقد تأخر الوقت بنا !
عبرا قاعة الطعام .. ودخلا فى الممر ..
ودون أن يُظهر أنه يلاحظ ما حوله ..
رأى الكابتن (عادل) .. أن الشاب الذى كان يراقبهما ..
قد غادر القاعة من الباب الأمامى ..
وأن الآخرين انخرطوا فى غمغمة مفاجئة .. بحديث هامس فيما بينهم ..
نظرت إليهما الفتاة القصيرة القامة .. بعد أن سارا ..
وكان وجهها ينم عن المرارة !

★ ★ ★

كان الممر طويلاً .. وظليلاً ..
عبراه بسرعة .. دون أن يسمعا أى شىء ..
ينم عن خطر محدق بهما ..
وأفضت نهاية الممر إلى مساحة بها مبانٍ مستقلة مهدمة ..
وحظيرة متوسطة ذات جدران حجرية .. مرتفعة ..
لأن مواشى القمر (يوروبا) يمكنها أن تقفز لمسافات عالية ..
كما كانت البوابة الحديدية .. ذات قضبان سميكة ..
أقبل رجل عجوز نحوهما .. من إحدى الحظائر المهدمة ..
كان طويل القامة .. رشيقًا يرتدى سترة جلدية لسائس ..
لكنها لم تكن نظيفة تمامًا ..
وبرغم هذا .. كانت للرجل هيئة ذات كبرياء .. وزهو ..
كما لو أنه يرى الرفرفة المتكبرة للرايات الحريرية .. بتأثير الرياح ..
أو يسمع صوت أبواق النصر من مسافة بعيدة !
طلب كابتن الفضاء الحصول على وسيلتى مواصلات ..
وتوقع الرفض .. أو على الأقل المجادلة والتهرب من التنفيذ ..
لكن لم يحدث أى منهما ..
إذ هز العجوز كتفيه وأجابه :

ـ لا مانع ! ولكنكما سوف تضطران لتلجيمهما بنفسيكما .. فاليوم لا يوجد هنا شباب .. لإمسك الدواب وكبح جماحها !
قال كابتن (عادل) بإصرار :
ـ حسن جدًا ! أعطنا زمامى الدابتين !
أخرج الرجل العجوز مجموعتين من الأحزمة .. والأربطة الجلدية المربوطة بالحديد ..
وقال بصوت أجش :
ـ أمسكوهما من عرفيهما .. وراقبا أقدامهما الأمامية !
وقادهما إلى بوابة الحظيرة ..
نظر الكابتن (عادل) حوله ..
كانت الساحة خالية .. والسكون تامًا ..
همس (فهد) :
ـ ماذا ينتظرون لكى يهجموا علينا ؟
أجابه كابتن الفضاء :
ـ لعلهم فى انتظار مغادرتنا (لمدينة النجوم) ..
وربما كان اختفاء آخر فى التلال المعتمة ..
يكون مفضلاً من وجهة نظر أهل القمر (يوروبا) ..
أومأ الروبوت (فهد) برأسه قائلاً :
ـ يمكن أن يكون الكمين فى الناحية الأخرى ! إن هذه الدواب موجودة باستمرار .. لابد أنها تعرف الطريق بدون أية مساعدة !

قال كابتن الفضاء دون أن يتحول عن هدوئه :

ـ هناك شيء واحد مؤكد .. أنهم سوف يوقفوننا في مكان ما !

رفع الرجل العجوز مزلاج بوابة الحظيرة ..

التى لم تكن كبيرة جدًا .. على قطيع من عشرين أو نحو ذلك ..

من الدواب الغريبة التى توجد بها ..

كانت محتشدة مع بعضها .. ونائمة فى الضوء القرمزى لكوكب المشترى ..

مخلوقات ملتفة محرشفة .. لها سيقان وذيول جبارة مثل أسواط من السلك !

ورءوسها الصغيرة مغطاة بأعراف لحمية صفراء ..

وكانت تحدق فى الرجال ..

بعيون لامعة شريرة .. فى حمرة الجمر !

قال اليوروبىّ العجوز .. وهو واقف بجوار البوابة الحديدية :

ـ اختارا ما شئتما !

تقدم الكابتن (عادل) .. والروبوت (فهد) ومعهما اللجامان ..

وفى أثناء اقترابهما .. همهمت الدواب .. وتراجعت إلى الوراء ..

وأحدثت أقدامها القوية .. أصواتًا عصبية على الأرضية ..

وتكلم كابتن الفضاء بلطف .. لكن القطيع بدأ يتزحزح ..

قال (فهد) :

ـ لا أظن أنها تحب منظرنا !

انطلق كابتن الفضاء بسرعة ..

وأمسك بعرف أحدها ..

ارتجف المخلوق .. ونخر .. بينما كان يثبت اللجام فى رقبته ..

ثم فجأة جاء من خلفهما صوت قرقعة قضبان البوابة ..

وهى تغلق !

وأدرك كابتن الفضاء .. أنهما قد أصبحا داخل مصيدة !

دار (فهد) حول نفسه .. وهو ممسك بدابته الملجمة ..

ولعن الرجل العجوز الماكر ..

أما الكابتن (عادل) فقد استمر قابضًا على ركوبته النافرة ..

ودار معها .. لكى يبتعد عن قدميها الأماميتين .. ذات المخالب الحادة ..

كانت جدران الحظيرة عالية .. وناعمة كالزجاج ..

من جراء احتكاكها بأجسام الدواب ..

ولم يكن ممكنًا الهروب بتسلقها !

كان قطيع الدواب يتحرك بقلق واضطراب ويصدر هسيسًا ..

ويلوّح بذيوله المحرشفة ..
وترتعد كل عضلات الدواب فى توتر ..
أصدر كابتن الفضاء صرخة تحذير لـ (فهد) ..
لكنها جاءت بعد فوات الأوان !

- ٣ -

دار أمام بوابة الحظيرة مشعل مؤقت .. من أقمشة متقدة ..
خلفت رائحة من الدخان المشبع بالزيت ..
وسمع كابتن الفضاء صوت الرجل العجوز مرتفعًا ..
فى صرخة عالية .. معتوهة !
ثم مرقت حشوة ثانية من القماش المحترق ..
وسقطت وسط الحظيرة ..
وانطلقت منها شرارات !
وعلى الفور ساد ذعر جنونى .. صاخب ..
انقلب على نفسه بوساطة جدران الحظيرة ..
تحركت الدواب فى هلع ..
وأخذت تندفع فى كل مكان ..
وتضرب الأرضية بأقدامها ..
وحاولت أن تهرب من الدخان .. والنيران المشتعلة ..
وتقهقرت دابة كابتن الفضاء إلى الوراء ..
وجرجرته على الأرض ..

فاضطر للتشبث بعرفها ..
بقوة رجل يعرف أنه سوف يموت لو لم يفعل ذلك !
أدخل كعبيه فى الأرض المتربة ..
ولوى رأس الدابة حتى قرقعت عظام رقبتها ..
ثم قفز إلى أعلى .. بحيث جعل ساقيه تحيطان ببطنها ..
وبصعوبة من خلال التراب المتصاعد .. والصراع ..
رأى الروبوت (فهد) ..
كان لابد للرجل العادى أن يداس تحت الأقدام .. حتى الموت ..
فى مثل تلك الظروف فى ثوانٍ معدودة ..
لكن (فهد) لم يكن رجلاً .. بل روبوتًا من المعدن ..
ولهذا أمكنه أن يتصرف بسرعة .. وبقدمين ثابتتين ..
وبقوة لا تصدق ..
فألقى بنفسه فوق ظهر دابته الهائجة ..
وأمسك عرفها بقبضة من حديد !
وكان ذلك مجرد نجاة وقتية ..
إذ تحولت الدواب المخبولة إلى صراع لبعضها مع البعض .
وأدرك كابتن الفضاء أنه لن يمر وقت طويل .
قبل سقوط دابته .. أو الإطاحة بها :
وأصبحت الحظيرة فى دقائق .. عبارة عن دوامة مجنونة .. صاخبة ..

من الأجسام العملاقة القافزة .. والفكوك القوية الممزقة ..
والمخالب الحادة .. والدماء .. والتراب .. والضجيج ..
ولا يمكن لأى كائن حى .. أن يتحمل ذلك طويلاً !

★ ★ ★

ظل الرجل العجوز اليوروبىّ واقفًا وراء البوابة ..
ممسكًا بشعلة مؤقتة أخرى فى يده ..
يلوح بها ببطء إلى الأمام .. وإلى الخلف ..
مما جعل جميع الدواب تهرب بعيدًا إلى الداخل ..
وحتى وسط لحظات الغضب .. والعنف هذه ..
وجد كابتن الفضاء (عادل أشرف) الوقت لكى يعجب من ذلك الدافع الغريب الذى قاد أولئك الرجال ..
إلى الجنون الذى ارتبط بالحياة الثانية الغامضة ..
التى أثارتهم بشكل لا يمكن تصديقه ..
حاول الوصول إلى البوابة ..
لكن دابته تعثرت فوق دابة أخرى .. سقطت وكانت تلفظ أنفاسها وسط التراب .. والدماء ..
سمع الكابتن (عادل) صرخات رهيبة .. من الفوضى التى بجوار البوابة ..
ترنح الوحش المجهد تحته .. وسقط هو الآخر !
جذب كابتن الفضاء رأس المخلوق إلى الخلف فى يأس ..

ليجبره على الوقوف على قدميه مرة أخرى ..
ثم فجأة حدث اندفاع صاخب بجانبه ..
للظهور الرمادية .. والأعناق المشرئبة ..
تشتت هائل للقطيع إلى الخارج ..
مع انفتاح البوابة !
حاول كابتن الفضاء كبح جماح دابته .. لمنع انطلاقها .
وشاهد بجوار الجدار .. (فهد) ممتطيًا ظهر شيطان هائج ..
يلوى عرفه بعنف .. حتى إنه كان يطلق صراخًا حادًا ..
وبعد عدة ثوان .. كانا وحدهما فى الحظيرة ..
بينما كان القطيع يرتع فى الساحة ..
وينتشر بعيدًا فى الممرات المظلمة !
اختفى الرجل العجوز السائس ..
ولعله كان محتميًا فى إحدى الحظائر المسقوفة ..
قال الروبوت (فهد) :
ـ الشاب الذى كان يراقبنا داخل فندق (الأقمار الثلاثة) ..
أخذ الرجل العجوز وانطلق به بعيدًا .. وهو الذى فتح البوابة !
أصبحت الساحة خالية الآن ..
ومن مكمن بجدار متهدم .. قفز شبح ما .. وانطلق يعدو ..
صاح كابتن الفضاء :

ـ (فهد) ! الحق به .. أمسكه !
ثم أدخل كعبيه فى الجانبين المحرشفين للدابة ..
التى زمجرت .. وصرخت ... وانطلقت مسرعة ..
فى إثر الشبح الهارب !

ـ ٤ ـ

أخيرًا أمسك به (فهد) وانطلقوا فى ممر ضيق ..
كان هو الشاب العابس .. ذو العينين القاسيتين ..
حاول مقاومتهما ..
إلا أنه لم يشهر فى وجهيهما .. أى سلاح !
انحنى كابتن الفضاء فوق الرجل .. ولكمه بقوة على جانب فكه ..
ثم سحب الجسد المترنح أمامه .. وقال لـ (فهد) :
ـ هيا بنا إلى خارج المدينة .. من هذا الاتجاه ناحية التلال ..
وبعد ذلك يمكننا أن نتحدث ..
شقَا طريقهما وسط غابة من الطرق والممرات ..
حتى سارا فى طريق تحف به الأشجار العالية ..
وعلى البعد ظهرت جسور عديدة ..
إلا أنها كانت مهدمة ..
والنقوش البارزة التى تظهر فوقها ..
وتحكى عن انتصارات .. وبطولات ..

قد تبددت تحت معاول الزمن !

أسرع كابتن الفضاء والروبوت (فهد) وأسيرهما ..

أسفل ظلالها .. لا يصاحبهم سوى الرياح .. والأتربة المندفعة فى كل اتجاه ..

وبعد الجسور .. لم يكن هناك أى مبانٍ ..

لا يوجد سوى الطريق المستقيم ..

الذى يخترق التلال بين صفين من الأعمدة القديمة الهائلة .. المنقوشة ..

والمتماسكة تحت وهج الكوكب العملاق .. المشترى ..

ذكّرت كابتن الفضاء بالآثار الفرعونية فى معابد مدينة الأقصر !

لم يكن هناك تحذير من ورائهم ..

أو أى نوع من المطاردة فى إثرهم ..

وبدت الليلة رتيبة .. هادئة ..

★ ★ ★

قاد كابتن الفضاء الركب على عجل ..

حتى وجد مكانًا يناسبهم .. فتوقف ..

وأشار إلى (فهد) بالترجل عن دابته ..

عاد وعى الشاب الأسير إليه ..

واعتقد الكابتن (عادل) أنه استيقظ منذ وقت قصير ..

لكنه لم يبد أية حركة ..

وبدا مرهقًا .. لاهثًا .. من جراء الحركات العنيفة للدواب ..

جثم فى المكان الذى وضعه فيه (فهد) ..

وهز رأسه فى ضعف .. وأخذ يلتقط أنفاسه ..

سأله كابتن الفضاء :

ـ لماذا فتحت بوابة الحظيرة ؟

أجابه الشاب بصوت خافت :

ـ لأننى لم أود أن يكون مصيركما الموت !

تساءل الروبوت (فهد) :

ـ هل تعرف .. لماذا كان من المفترض أن نموت ؟!

نظر الشاب إليهما بعينين ثائرتين .. غاضبتين :

ـ أجل أعرف .. أعرف تمامًا !

قال الكابتن (عادل) :

ـ إذن أنت لا تريد (الحياة الثانية) !

وقال (فهد) :

ـ إنه لا يحتاج لتجديد حياته مرة أخرى !

ردّ الشاب بمرارة :

ـ إنها ليست عملية تجديد للحياة .. بل الموت ! إذ قبل أن تظهر لحياتنا أية قيمة ..

تسيطر علينا الحياة الثانية .. وننسى حياتنا الأولى التى لم نعشها بعد ..

جدراننا تسقط فوقنا حجرًا وراء آخر .. وليس لدينا أى قماش نستر به أجسامنا !

تريث الشاب للحظات ثم استطرد بصوت مفعم بالحزن :

ـ .. التغير الكبير فى عوالم أخرى .. لا يؤثر علينا قط .. إن كل ما يحيط بنا هو العدم .. طالما أننا نعيش الحياة العظيمة الرائعة .. (الحياة الثانية) !

نهض واقفًا .. وحدق فى كابتن الفضاء و (فهد) ..

كما لو كان يكرههما ..

لكن الذى رآه .. لم يكن وجهيهما .. الحقيقيين ..

بل وجهين عقيمين .. ذابلين ..

لرجلين عجوزين تجاوزا زمنهما ..

كائنين ميتين .. فوق قمر يحتضر !

قال الشاب فى تؤدة :

ـ إنكم يا أهل الكواكب والعوالم الأخرى .. لستم مثلنا .. الحياة تتقدم بكم إلى الأمام .. الرجال يتعلمون ويكبرون .. الحقول مثمرة .. والمدن ساطعة ..

والحضارة مزدهرة .. أليس كذلك ؟

أومأ كابتن الفضاء برأسه وأجاب :

ـ أجل !

تنهد الشاب وقال :

ـ لكن على القمر (يوروبا) .. ما الذى يوجد لشاب صغير ؟ التراب والأحلام !

هناك جدار هائل أمامنا .. وبعد فترة يقال لنا إنه لا يمكننا تحطيمه وهدمه ..

وبعد ذلك يتقدم بنا العمر !

استدار بعيدًا عنهما وهمس قائلاً :

ـ ارجعا إلى كوكبكما ! إن الحياة أمامكما .. فحافظا عليها !

أمسكه كابتن الفضاء من ذراعيه وقال بحدة :

ـ ما هى هذه (الحياة الثانية) ؟

أجابه الشاب فى بطء :

ـ الموت للذين يعيشونها .. ولمن يحاولون تحطيمها ! نحن نعرف ذلك .

خطرت فجأة على ذهن كابتن (عادل) فكرة ما .. فقال :

ـ إذن يوجد آخرون غيرك فى (مدينة النجوم) .. يشعرون مثلك !

هزّ الشاب رأسه وقال :

ـ أجل .. كل من لا يزال شابًا منا !

ثم ضحك بشكل هستيرى وأردف :

ـ ... لقد اتحدنا جميعًا ذات مرة .. وذهبنا إلى الوادى .. يملؤنا الغضب والكراهية .. كنا عازمين على تحرير كوكبنا .. لكنهم حاولوا قتلنا فى الممر !

الرجال المسنون أطلقوا علينا النيران !

تريث للحظة ثم أضاف فى تؤدة :

ـ ... لقد قلت لكما ما تريدان .. والآن عودا إلى كوكبكما .. بينما ما زلتما على قيد الحياة !

ردّ كابتن الفضاء برقة :

ـ لا .. إننا ذاهبان إلى الوادى .. وسوف تقودنا أنت إلى هناك !

اتسعت عينا الشاب وتراجع إلى الوراء ..

فأمسكه (فهد) من ظهره .. بقوة هائلة .. جعلته يائسًا من الهرب ..

أدار رأسه من جانب لآخر .. ثم صرخ قائلاً :

ـ ثلاثة رجال ! فيما فشل فيه مئات الرجال ! إنكما لا تعرفان (زونور) الوصى على (الحياة الثانية) .. أنتما لا تعرفان عقابه .. إننى رجل منبوذ ..

ومحظور علىّ الذهاب إلى الوادى !

امتلا صوت كابتن الفضاء بالاحتقار وهو يقول :

ـ نبذ .. ونفى .. وعقاب ! إنك لا تستحق شبابك هذا .. لأن عظامك واهية حقًا ! أنصت إلىّ .. سوف تكون دليلنا إلى الوادى .. وبعد ذلك لك الحرية فى أن تبقى معنا أو تلوذ بالفرار .. سننهى (الحياة الثانية) ..

أيًا كانت .. دون الاحتياج إلى أى مساعدة ممن على شاكلتك !

رأى الكابتن (عادل) أتون الغضب ..

يقفز من عينى الشاب .. وحمرة بسيطة فى خديه ..

وحاول أن يتملص من القبضة الفولاذية للروبوت (فهد) ..

ابتسم كابتن الفضاء وقال :

ـ إذن لا يزال هناك بقية من الاعتداد بالنفس ! اتركه يا (فهد) !

ثم قفز وامتطى الظهر المحرفش لدابته ..

ورفع (فهد) الشاب .. وكأنه طفل صغير ..

بين ذراعى كابتن الفضاء .. الذى قال :

ـ الآن .. أى اتجاه ؟

أشار الشاب إلى ناحية الشرق ..

وانطلقوا راكبين خلال التلال المظلمة .. الكئيبة ..

وبعد فترة انبلج الفجر ..

ووجدوا أنفسهم أمام مدخل مظلم لممر ..

فجر شمس بعيدة خافتة ..

لا يزيد على الليل إلا بقدر طفيف من الضياء !

ترجل كابتن الفضاء من فوق دابته ..

ووقف ممسكًا باللجام .. وقال للشاب اليوروبىّ :

ـ ارجع إلى المطار الفضائى .. إلى قاعدة دوريات

الحراسة .. وأخبر من تجده هناك .. بمكاننا هذا !

بدا يظهر فى عينى الشاب بريق من الأمل .. وسأله :

ـ وماذا عنكما ؟

أومأ كابتن الفضاء برأسه ناحية الممر الجبلى وقال :

ـ سوف ندخل فيه !

همس الشاب بحدة :

ـ هناك خطر كبير !

ثم أردف بصوت أكثر رقة :

ـ ... ربما يمكنكما أن تنهيا (الحياة الثانية) .. أنتما وأولئك الذين ينتظرونكما ..

سوف أذهب إلى (مدينة النجوم) .. لاستنفار الذين حاربوا مرة .. ويمكنهم أن يكرروا ذلك مرة أخرى .

أدار الشاب الدابة المتذمرة .. حول نفسها ..

وأطلقها لتسابق الريح .. ناحية (مدينة النجوم) ..

وركضت معها دابة (فهد) ..

ثم أخذ كابتن الفضاء والروبوت (فهد) يصعدان التل .. مخترقين ظلام الممر ..

فى رحلة إلى المجهول !

ـ ٥ ـ

تساءل (فهد) :

ـ ما لم تكن (الحياة الثانية) تجديدًا للحياة .. فما هى إذن ؟

قال كابتن الفضاء :

ـ هل هى نوع من أحلام المتعة والسعادة .. عن طريق خلق مؤثرات حسية صناعية ؟ لا .. لا .. إن (فؤاد) لا يمكن أن يتدنى إلى هذا المستوى !

صمت لبرهة ثم أضاف مؤكدًا :

ـ .. كلا .. إنها ليست كذلك .. لقد بدأت أعتقد أن شيئًا رهيبًا يحدث !

كان السكون تامًا فى الممر ..

والأحجار المهدمة ترتفع على الجانبين ..

وتتناثر فى كل مكان بعض الأشجار المريضة القصيرة ..
لا بد أن هناك جيشًا مختبئًا وغير ظاهر !
لكن حتى أذنا كابتن الفضاء المرهفتان ..
لم تكتشفا أى صوت يدل على وجود حياة من أى نوع !
ومع ذلك لم يدهشه عندما وصلا إلى نهاية الممر ..
ونظرا خلفهما .. أن وجدا أفرادًا يهجمون عليهما !
انتظرا .. كانوا شبانًا صغارًا .. لكن فى عيونهم بدت واضحة ..
لمسة من الوهن .. والاضمحلال !
وأدرك لِمَ أطلق عليهم الشاب اليوروبىّ : « الرجال المسنين » !
قال لهم كابتن الفضاء :
ـ لقد حضرت للتحدّث مع (زونور) !
أومأ من كان يبدو أنه رئيسهم برأسه وقال :
ـ إنه ينتظرك .. لكن أرجو أن تعطياني سلاحيكما أولاً ..
كان معهما أسلحة ليزرية خاصة بهما ..
ولم يكن هناك جدوى تذكر من محاولة المقاومة ..
لذا أعطاهم كابتن الفضاء و (فهد) سلاحيهما ..
ثم سارا ، والشبان ذوو العيون الكنيبة .. وراءهما مباشرة ..
كان الوادى واسعًا .. تتخلله بعض الغابات ..

ونهر رفيع واحد ..
وبالقرب من الممر .. كان هناك بيت ضخم من الحجارة ..
طويل وعريض جدًا .. بحيث بدا كما لو كان مكانًا للتعليم ..
فى الأيام التى كان فيها القمر (يوروبا) ..
ما زال شابًا !
أشار قائد المجموعة إلى مدخل كان مصراعاه يتألقان .. من الذهب المشغول بروعة ..
مرّ منه كابتن الفضاء و (فهد) إلى جواره ..
وفى الداخل كان هناك ظلامٌ رقيق من الغرف المنتظرة الباردة ..
وأرضيات قديمة تصدر صريرًا حادًا .. تحت وقع أقدامهم ..
كان المنزل الضخم عبارة عن هيكل حجرى واحد ..
خال من كل شىء .. ما عدا أساسه القوى الصامد ..
على الفور جاء رجل يسير تجاههما ..
طويل القامة .. تبدو عليه علامات العظمة والاعتداد الكامل بالذات ..
رجل عجوز .. لكنه ليس متسخًا بالتراب .. ولا متهالكًا ..
كانت عيناه متألقتين وصافيتين ..
نظر إليه كابتن الفضاء .. وأدرك أنه رجل مسلح بأخطر سلاح .. يملكه عدو ما ..

الثقة بالنفس !

سأله :

ـ هل أنت (زونور) ؟

أجاب بسرعة :

ـ أنـا هـو ! وأنتمـا كـابتن الفضـاء (عـادل أشـرف) .. والروبوت (فهد) !

ثم أمال رأسه قليلاً واستطرد قائلاً :

ـ ... لقد توقعت مجيئكما .. و (فؤاد) يريد رؤيتكما !

تساءل (فهد) :

ـ وأين (فؤاد) ؟

قال (زونور) :

ـ سوف آخذكما إليه .. تعاليا معى !

تقدم الطريق .. وسار فى الممر الطويل المظلم ..

وتبعه كابتن الفضاء و (فهد) ..

وفى إثرهم الشبان عابسوا الوجوه ..

تريث (زونور) بجوار باب ضخم من معدن فقد لونه ..

ثم دفعه فانفتح وقال لهما :

ـ ادخلا !

خطا كابتن الفضاء و (فهد) عدة خطوات ..

داخل قاعة منخفضة طويلة ..

يرجح أنها مقر فرقة عسكرية ..

ثم توقف الكابتن (عادل) وقشعريرة رهيبة .. تسرى فى كل بدنه ..

وبجواره وقف (فهد) حائرًا !

كان المكان ساكنًا ..

لكن فوقه وتحته وخلاله .. انتشر صوت خافت ..

عبارة عن طنين رقيق زاد من حدة الصمت !

وتناثرت فى كل القاعة بلاطات رخامية كثيرة ..

وأرائك لوضع الأجسام الحيّة ..

غائرة إلى عمق كبير تحت وزن الأجساد التى لا حصر لها !

وعلى كل بلاطة تقف آلة مغطاة من أعلى ..

وتبدو قديمة .. عتيقة ..

ومصنوعة بشكل مخالف تمامًا .. لأى طراز معتاد من الآلات .. على أى كوكب آخر ..

وقد ظلت لامعة من جراء العناية المتواصلة بها ..

ومع ذلك ظهر عدد منها فى حالة سيئة من البلى .. والتآكل ..

وهذه الآلات الغريبة .. هى التى كانت تصدر الطنين الغامض .. أو أنشودة (الحياة الثانية) !

★ ★ ★

تمدّد رجال ونساء كثيرون على الأرائك ..
ولم يتمكن كابتن الفضاء من حصر أعدادهم فى الظلام .. الذى يلف المكان ..
بدوا .. كما لو كانوا نيامًا ..
وكانت أعضاؤهم مرتخية .. ووجوههم هانئة ..
وحول رأس كل نائم .. رُبط حزام معدنى غير مألوف ..
به قطبان مستديران مثبتان فى الهيكل ..
ويتصلان ليس بالأسلاك .. وإنما بمساكات ذات قوة متوهجة ..
بالآلة المغطاة من أعلى .. والتى ينهمر منها ضوء قاتم إلى أسفل ..
همس (فهد) :
ـ ها هم أولاء ! جميع المسنين الذين اختفوا من الكواكب الأخرى !

ـ ٦ ـ

الرجال والنساء العجائز .. الحزانى .. المرهقون .. المتهالكون بفعل الزمن ..
كانوا ينامون هنا بالمئات .. فوق الأرائك القديمة .. الأثرية ..
ورأى كابتن الفضاء فى عيونهم .. ووجوههم ..
ما هو أكثر من السكينة وراحة البال ..
كانت هناك سعادة .. ومرح أيام الشباب ..

عندما كانت الشمس ساطعة .. والجسد قويًا .. والذهن خاليًا من الحزن ..
والغد مجرّد ضبابٍ غامض .. يلوح فى الأفق ..
وكذلك كان يوجد الكثير من سكان القمر (يوروبا) ..
الذين وجدوا سعادتهم أيضًا ..
تحت تلك الآلات الطنانة ..
لكن بدا على وجوههم نوع مختلف من السعادة ..
يمتزج بالكبرياء الشامخة ..
كما لو كان يمر وراء جفونهم المغلقة ..
مشاهد .. وصور .. للعظمة .. والنصر .. والقوة .. والمجد !
أشار (زونور) قائلاً :
ـ هنا يوجد صديقكما .. نائمًا !
وقف كابتن الفضاء بجوار الأريكة ..
ونظر إلى أسفل تجاه وجه الصديق (فؤاد شهدى) ..
الذى كان مألوفًا له ..
وأحبه كثيرًا ..
لكنه لم يكن ذلك الوجه المتجهم الذى يتذكره ..
العبوس ولّى .. وندبات الزمن والألم .. خفت إلى حد بعيد ..
الفم يبتسم .. ابتسامة شاب صغير ..
لم يفقد قلبه .. روح الضحك والمرح !

قال الكابتن (عادل) بحدة :

ـ (زونور) ! أيقظه !

رد (زونور) فى تؤدة :

ـ ليس بعد !

تساءل (فهد) :

ـ هل كل ذلك وهم وخداع ؟ هل هو مُخَدَّر أو يحلم ؟

وقف كابتن الفضاء صامتًا ..

يحدق فى المشهد الغريب الذى أمامه ..

ولا يستطيع الإجابة ..

تريث (زونور) لبرهة ثم قال فى بطء :

ـ كلا .. إنه يتذكر ! يعود إلى الماضى .. يتخفف من متاعبه وآلامه وأحزانه !

كل إنسان له أوقات فى حياته .. تمتلئ بالحب والأمل .. ذكريات عشق ..

يريد أن يعيشها مرة أخرى ! و (فؤاد) يحيا فى الوقت الحاضر فترة شبابه !

إنه شاب الآن .. يسير ويتحدّث ويشعر بربيع العمر .. ويحرّر نفسه من كل حزن ..... إنها ولادة جديدة تتحدّى الليل .. واليأس .. والشيخوخة !

صمت للحظة ثم أضاف قائلاً :

ـ .. هذا ما نسميه نحن .. (الحياة الثانية) !

قال كابتن الفضاء فى حيرة :

ـ لكن كيف يحدث ذلك ؟

رد (زونور) بسرعة :

ـ هذه الآلات التى صنعها القدماء .. تساعد الإنسان على التذكر .. ليس فقط كرؤية غامضة سريعة .. ولكنه يتذكرها بكل حواسه !

بدأ الكابتن (عادل) يفهم .. فكل خبرة يمر بها الإنسان .. تترك مسارًا عصبيًا جديدًا .. فى متاهة التشابكات العصبية فى المخ ..

والاسترجاع الوجيز له ..

يثير استعراضًا جزئيًا عابرًا ..

يسمى (الذاكرة) !

وعلماء النفس فى أوائل القرن الحادى والعشرين ..

فكروا فى عملية بيولوجية يطلق عليها (التجديد) ..

وفيها يتم تنقية كل الذكريات المؤلمة ..

واستخراج جميع الانطباعات الحسية التى اندمجت معها ..

وأصبحت جزءًا لا يتجزأ منها ..

وهكذا يعيش الإنسان فى سعادة !

★ ★ ★

والأشعة الغامضة النفاذة العجيبة لهذه الآلات ..
تؤدى عملية التجديد هذه .. بأوسع معنى لها..
واصل (زونور) حديثه قائلاً :
- ... وذكريات الآباء توجد مدفونة فى عقول الأبناء .. وذلك الجزء من المخ الذى أعتقد من قبل أنه عديم الفائدة .. وأقصد به (الغدة الصنوبرية) .. هى فى الواقع مخزن هائل لذكريات الآباء والأجداد .. التى تورث من خلال تغير دقيق عجيب .. فى كروموسومات الخلية !
أبدى كابتن الفضاء اندهاشه قائلاً :
- أتعنى أنه يمكن التغلغل فى الماضى .. خلال تلك الطبقات من الذاكرة الموروثة المدفونة ؟ ولكن إلى أى مدى ؟
أجابه (زونور) فى زهو :
- إلى بعيد جدًا .. يحدث هذا الرجوع حتى أيام مجد كوكبنا .. أليس من الرائع أن نفضل العيش فى الماضى العظيم لـ (يوروبا) .. وليس فى حاضره البائس ؟
قال كابتن الفضاء بجدية :
- لكن ذلك رفض للحياة الحقيقية الوحيدة .. إنه انتكاس واحتضار وهروب !
رد (زونور) مبتسمًا :
- ومع هذا .. فهو المجد والنصر والسعادة !

ثم امتدت يده لتلمس الآلات الطنانة ..

وبدا فجأة أن فى مظهره شىء من الوقار ..

أردف قائلاً :

ـ .. إننا لا نفهم تصميم هذه الآلات .. التى تعطينا الحياة الثانية .. كان القدماء يعرفون سرّها .. ثم فُقدت تلك المعرفة عَبْر السنين .. لكن يمكننا صنع مثلها تمامًا .. جزءًا جزءًا ! ويمكنك أن ترى الكثير منها تآكل وتلف بحيث لا يجدى إصلاحه .. لقد احتجنا إلى معادن نادرة .. المواد المشعة التى هى قلب الآلة !

لكنها لم تعد متوفرة على القمر (يوروبا) .. ولذلك كنا فى احتياج إلى المال اللازم لشرائها من كواكب أخرى .. حتى نتمكن من صنع آلات جديدة .. وهذا هو السبب فى إحضار هؤلاء الناس إلى هنا .. للاستفادة من أموالهم !

وأومأ برأسه إلى عجائز الأرض والكواكب الأخرى ..

الذين حضروا إلى القمر (يوروبا) ..

لكى يعيشوا فى الماضى مرة أخرى !

واجه كابتن الفضاء .. الرجل الغامض (زونور) ..

وتحدث إليه بحدة :

ـ هذه ليست حياة بل موت ! إن مدنكم تتهدّم .. وحضارتكم تنهار ..

وشعبك يضعف تدريجيًا .. إنكم تعيشون فى الأحلام ! إن سم هذه (الحياة الثانية) يدمر كوكبك .. ولابد من إيقافه !

سأله (زونور) فى هدوء :

ـ وأنت الذى سوف توقفه ؟

أجاب كابتن الفضاء مؤكدًا :

ـ أجل ! لقد بعثت إلى قوة الحراسة الفضائية .. وعدة مئات من الشباب .. من شعبك نفسه يا (زونور) ! الذين يفضلون الحياة مرة واحدة .. بدلاً من الموت مرتين !

رد (زونور) ببرود :

ـ ربما يكون الأمر كذلك ! لكن من يدرى ؟ لقد حضر الكثيرون إلى هنا .. لكى يوقفوا عمليات (الحياة الثانية) .. لكنهم فشلوا !!

ثم تريث للحظة .. وأضاف قائلاً :

ـ ..... ولعلك تغير رأيك !

رمقه كابتن الفضاء بنظرة احتقار وقال له :

ـ لن تستطيع رشوتى بعدة ذكريات من أيام شبابى ! إنها قريبة جدًا منى .. ومعظمها ليس سارًا !

أومأ (زونور) برأسه وقال :

ـ أنا لن أحاول القيام بشىء طفولى كهذا ! فهناك ذكريات أخرى ! إذ إن المجموعة الشمسية كلها تعرف صراعك الطويل للتنقيب فى الماضى البعيد ..

التاريخ الكونى المفقود للبشرية ! أنت نفسك يمكن أن تحيا فى هذا الماضى ..

ومن خلال ذاكرة الأجداد .. تستطيع أن تعيش مرة أخرى .. فى أيام الإمبراطورية الفضائية القديمة .. وربما قبل ذلك !

ثم ابتسم وأردف فى بطء :

ـ ... كابتن الفضاء ! أنت متعطش للمعرفة .. ولا توجد حدود للعلم الذى يمكنك اكتسابه فى (الحياة الثانية) !

وقف كابتن (عادل أشرف) صامتًا !

وفى عينيه نظرات غريبة ..

ضحك (فهد) بصوت مزعج وقال :

ـ لا يوجد شىء فى هذا لى يا (زونور) .. إذ ليس لى أجداد !

رد (زونور) بسرعة :

ـ أعرف .. وسوف يهتم الحراس بأمرك !

ثم التفت إلى كابتن الفضاء وقال له :

ـ حسن !!

قال كابتن الفضاء بصوت أجش :

ـ لا .. لا ..! لن تكون لى علاقة بأمر مثل هذا !

استدار ووجد جدارًا متراصًا من الرجال أمامه .. يعترض طريقه !

وجاء صوت (زونور) هادئًا .. قاسيًا :

ـ أخشى أنه لا خيار لك الآن !

★ ★ ★

تحيّر كابتن الفضاء .. وشحب وجهه .. وهو يجول ببصره من (زونور) .. إلى الحراس ..

وسرت رجفة فى عضلاته ..

ترتبط بالإثارة .. والمغامرة .. وحب الاستطلاع .. والرغبة فى المعرفة ..

أكثر من ارتباطها بالخوف !

حاول (فهد) أن يتحرّك ..

فأشار إليه كابتن الفضاء أن يبقى ساكنًا ..

اقترب الحراس خطوة إلى الأمام ..

هزّ كابتن (عادل) كتفيه فى لا مبالاة ..

ورفع رأسه محدقًا فى وجه (زونور) ..

باعتراض .. وتحدٍّ واضح ..

ثم توجه إلى أقرب أريكة فارغة ..

وتمدّد فى المكان الغائر ..

وحضر رجل عجوز آخر فى عباءة رثة .. بالية ..

ووقف جاهزًا بجوار أذرع تشغيل الآلة ..

وضع (زونور) الشريط المعدنى حول صدغى كابتن الفضاء ..
وثبت القطبين المستديرين ..
و (فهد) يراقبه فى قلق .. وتوتر ..
إنه قادر على التغلب .. على كل رجال الحرس ..
ولكنها أوامر كابتن الفضاء .. ألا يتدخل !
ابتسم (زونور) ورفع يده ..
فبدأت الآلة تعمل ..
وتصدر طنينها المعتاد ..
وأضاء وهج أحمر خفيف .. وجه كابتن الفضاء ..
ثم برزت زائدتان لامعتان ..
دارتا بسرعة حول نفسيهما ..
وهبطتا إلى أسفل !
ولمستا القطبين المستديرين ..
وشعر كابتن الفضاء بومضة من نار ..
داخل جمجمته ..
وبعد ذلك لم ير سوى الظلام !

ـ ٧ ـ

بدأت الأجزاء المنفصلة .. والمتباعدة .. والمتفرقة من ماضيه ..
تصبح حقيقية .. وحيّة مرة أخرى ..

بالنسبة لكابتن الفضاء (عادل أشرف) ..
وكل واحد منها كان أكثر عمقًا فى الماضى ..
وهو لم يتذكرها فقط ..
بل عاش كل ذكرى بحواسه الخمس جميعها ..
وبكل كيانه .. ووعيه تقريبًا ..
نعم .. تقريبًا !
إذ إن ركنًا داخليًا من عقله ..
ظل بعيدًا عن هذا الاسترجاع الحىّ .. النشط .. للذاكرة ..
وأخذ يراقب ما يحدث .. فى أثناء عملية (الحياة الثانية) !

★ ★ ★

كان كابتن الفضاء يسير بخطوات واسعة ..
مع (شيرين) و (فهد) والكمبيوتر الطائر ..
على كوكب مغلف بالليل الدامس ..
وفى السماء سطعت أضواء النجوم المذهلة ..
لمجرة أندروميدا (المرأة المسلسلة) ..
وبعيدًا أمامهم لاحت القاعة الجبارة .. للشموس التسع ..
ثم كان فى غرفة التحكم بسفينة (الأمل القرمزى) ..
وهى الخاصة بملك المريخ (بورك) ..
ووقف بجانبه قرصان الفضاء ..
وكانت صواريخ الفرملة تتحطم بجنون ..

وسفينة الفضاء تنطلق مسرعة ..
تجاه الكرة الحمراء المنتفخة ..
لكوكب المجرمين الخارجين على القانون !
ثم كان يركض تجاه معبد غريب ..
والعالم كله تحته يهتز .. ويتصدع ..
والفضاء يتلوى من البرق .. والرياح الشديدة تئن .. وتعوى ..
وهذا الكوكب .. المفقود فى ذلك الزمن ..
يقترب من مصيره المأساوى المفاجئ ..
كارثة .. فى أعماق الكون(*) !

★ ★ ★

همس صوت يأتى من بعيد :
ـ ارجع إلى الماضى .. أكثر .. وأكثر ..
وبدأت أصوات الآلات تنخفض ..
وقف كابتن الفضاء متمردًا فى مواجهة النظرات العنيدة ..
للكمبيوتر الطائر ..
فى ممر مختبر القمر ..
كان صبيًا فى الرابعة من عمره ..

(★) اقرأ عن كل هذه المغامرات التى قام بها كابتن الفضاء .. فى الأعداد القادمة من سلسلة (نوفا) .

وشعر بامتعاض .. وكره للقيود .. والظلم المتوهم ..
غمغم قائلاً :
ـ كل ما رأيته حتى الآن .. هو ذلك المختبر فوق القمر ..
وأنت و(فهد) ! أريد الذهاب إلى كوكب الأرض .. والمريخ ..
والزهرة .. وجميع الكواكب الأخرى !
ردّ عليه (نبيل صبرى) الكمبيوتر الطائر :
ـ سوف تفعل يومًا ما ! لكن ليس قبل أن تكون مستعدًا ..
(فهد) وأنا ..
ربيناك بعد وفاة والديك .. وعندما يحين الوقت .....
ستذهب إلى كل كواكب المجموعة الشمسية !
لم يكن بمقدوره أن يرى بوضوح تام .. ولا أن يفهم ..
فكل ما كان لديه عين وعقل طفل !
كانت القاعة الرئيسية الكبرى فى مختبر القمر ..
ورقد رجل وامرأة ممددين على الأرض ..
بينما يقف رجال آخرون بأسلحتهم بجوارهما ..
قال الكمبيوتر الطائر الذى كانت عدساته تواجه أولئك الرجال ..
بصوت يخلو من التعبير :
ـ سوف تدفعون ثمن ذلك سريعًا جدًا .. أيها القتلة !
وسمع وقع أقدام مسرعة ..

واقتحم القاعة الروبوت (فهد) ..
وصدرت من العملاق المعدنى .. صرخة مدوية رهيبة ..
ثم قفز إلى الأمام !
لم تر عينا (عادل أشرف) الطفوليتان ..
سوى دوّامة من الأجساد المترنحة ..
وانفجار .. وضوء ساطع ..
ثم (فهد) يقف .. بجوار الأجساد المحطمة للقتلة !
وبدأ الظلام يغلّف المنظر ..
لكن الركن المنعزل الذى لم يمس من عقل كابتن الفضاء ..
عرف أنه شاهد وفاة والديه ..
ثم الانتقام لموتهما !

★ ★ ★

همس صوت غامض قائلاً :
ـ إلى الوراء لما بعد الذكريات الذاتية ! ذكريات أجداد .. الأجداد ..
وجد نفسه فى طائرة قديمة من القرن العشرين ..
ثم على سطح سفينة شراعية عتيقة ..
وكان واحدًا من رجال مغطين بالبرونز .. والجلود ..
ويحملون حرابًا طويلة ..
يركضون إلى داخل قرية متواضعة من الأكواخ الخشبية ..

وكان بها صراخ من مكان ما ..
ثم تحت سماء مظلمة .. كان (عادل أشرف) يقف على تل بنى متصدع ..
كهمجى يلبس جلود الحيوانات ..
والرياح الباردة .. تطيّر العشب الميت ..
ولكنه شاهد حركة أسفل التل ..
فرفع فأسه الصخرى الثقيل بحذر وصاح :
ـ أبى !

★ ★ ★

هزّ الرعد سماء الليل ..
وارتد صداه عبر مدينة من الأبراج المتلألئة فى المسافة القريبة ..
بينما سفن الفضاء الضخمة تأتى متهادية .. رشيقة ..
واحدة وراء الأخرى !
تحدّث كابتن الفضاء ـ أو جده البعيد الذى يسترجع الآن ذكرياته ـ باهتمام بالغ إلى رجل يرتدى رداءً رسميًا وقورًا ..
يسير معه تجاه المطار الفضائى فوق كوكب الأرض .. قال :
ـ سوف نرى نوعية الموظفين الذين يرسلهم كوكب (فيجا) هذه المرة !
يجب أن أعترف أن منظر أولئك المتحذلقين .. المضجرين القادمين من هناك .. يضايقنى !

قال له الرجل الآخر :

ـ لكن قبل كل شىء .. نحن لسنا سوى جزء ضئيل من إمبراطورية الفضاء .. المراقبون الذين يفكرون فى الكواكب عبر المجرة بأسرها .. لا يعتبرون مجموعتنا الشمسية الضئيلة لها قيمة كبيرة .. لكنها مهمة فعلاً ! فعلى رغم أنها لها كواكب تسعة صغيرة فإنها لا تقل أهمية عن أى جزء من الإمبراطورية ! لعلها تصبح كذلك قريبًا .. إمبراطورية الفضاء سوف تعيش إلى الأبد !

وبرغم أن المنظر تغير ..

فقد عرف ركن المراقبة فى عقل كابتن الفضاء ..

أنه عاش فعلاً لدقائق فى عهد الإمبراطورية الفضائية القديمة !

★ ★ ★

همس الصوت الغامض مرة أخرى :

ـ إلى الوراء أكثر .. وأكثر ..

أمكنه سماعهم .. وهم ينشدون الأغنية .. داخل سفينة الفضاء العملاقة ..

الأغنية القديمة التى كانت كراية خفاقة ..

والسفينة الجبارة تشق طريقها .. خلال فراغ ما بين المجرات ..

شاهد من خلال نوافذها الهائلة ..

نفس المنظر الخالد ..

الأعماق الواسعة للمحيط الفضائى الشاسع ..

الذى تنتشر به بقع من المجرات المتباعدة ..

فى شكل نقاط ضوئية خافتة ..

وباستثناء المجرة الوحيدة فى الأمام ..

فإن قارة النجوم المروعة .. المتحركة لولبيًا ..

استمرت فى التزايد إلى فضاء من نار ..

وروعة كونية !

وجاء الإلهام المبهر إلى ذلك الجزء فقط من عقله ..

الذى كان لا يزال .. يحتفظ بشخصية كابتن الفضاء (عادل أشرف) ..

إلهام هذا العمل البطولى الأول للرجال ..

الذين استكشفوا الكواكب الأخرى فى مجرة (الطريق اللبنى) ..

وأنشئوا الإمبراطورية الفضائية القديمة !

لو كان سمع هذه الأغنية لفترة أطول ..

تلك التى كانت تغنيها القوات الزاحفة من الجنس البشرى القديم ..

وهو يتابع مصيره منذ البداية الأولى ..

آه .. لو كان سمع أكثر قليلاً !!

★ ★ ★

قال الصوت الغامض بحدة :

ـ الآن !

وسطع ضوء رهيب مدمر .. على المشهد كله ..

بقى تساؤل واحد .. بلا إجابة :

ـ كيف كانت الإمبراطورية الفضائية القديمة .. قبل العصور البدائية !

ـ ٨ ـ

كان الاستيقاظ قاسيًا جدًا ..

وسمع كابتن الفضاء نفسه ..

يصرخ فى طلب غاضب .. مشوش .. للآلة ..

لكى تعمل مرة أخرى ..

إنه يريد معرفة الإجابة .. عما إذا كان الجنس البشرى يتطور .. أو ينحدر ؟!

يريدها أن ترسل ذكرياته .. إلى أعماق الماضى ..

على مسار لا ينتهى من الزمن !

ثم اختفى المشهد ..

ورأى (فهد) وهو يراقبه فى قلق ..

بينما كان (زونور) يبتسم ..

أزال كابتن الفضاء الشريط المعدنى .. والقطبين المستديرين ..

من على رأسه ..

ثم نهض واقفًا ..

كانت يداه ترتعدان ..

وبشكل ما .. لم يستطع مواجهة نظرات (فهد) ..

حاول أن يتحدث لكن الكلمات لم تخرج من فمه ..

وفى عقله كان يتبدد تدريجيًا عبء هذه الأغنية ..

والضوء المبهر للمجرات البعيدة .. التى لم تلمس .. جزر الكون الكبرى ..

الجاهزة للمنتصر !

قال (زونور) وكأنه يعرف بالضبط ما يدور فى فكر كابتن الفضاء :

ـ ابق هنا ! لتواصل حلمك الخاص بك .. فلا توجد أى حدود لذاكرة الإنسان !

ومن مسافة بعيدة .. وصل إليهم الصوت المفاجئ للقتال فى الممر ..

وقف كابتن الفضاء ساكنًا ..

وهو حائر بين الإمبراطورية الفضائية المفقودة .. الماضية ..

والحاضر القاسى الذى يرثى له ..

ثم تحرك بشكل بدائى ..

كمخلوق يُدفع إلى فعل شىء .. ضد إرادته !

قطع الشريط المعدنى .. والقطبين المستديرين ..

من على رأس (فؤاد شهدى) !

هزه وهو يصيح :

ـ استيقظ يا (فؤاد) ! استيقظ !

بدأ الحراس فى التحرك إلى الأمام ..

قال (فهد) بحدة :

ـ انتظروا ! لو لمستموه الآن .. فسوف يعنى ذلك القضاء التام عليكم جميعًا .. وعلى هذه القاعة !

أصغى (زونور) لصوت القتال فى الوادى ..

ثم تنهّد وأشار إلى الحراس لكى يتوقفوا ..

وقال بصوت هامس :

ـ لننتظر ! فهناك دائمًا وقت للموت !

نظر (فؤاد شهدى) إلى كابتن الفضاء ..

وعيناه حائرتان .. ومملوءتان بألم غير مفهوم !

التفت كابتن (عادل) وقال بثقة :

ـ (زونور) ! اذهب وأخبر قومك بإلقاء أسلحتهم .. فليس هناك داع لحدوث مذبحة شاملة !

قال (زونور) بتحد :

ـ ربما يكون الأفضل لنا أن نموت .. ونحن نقاتل دفاعًا عن (الحياة الثانية) !

هزّ كابتن الفضاء رأسه وقال :

ـ يجب أن تنتهى (الحياة الثانية) بالنسبة لـ (يوروبا) .. فمن خلال إحضار هؤلاء الناس من كواكب أخرى .. قد أعطيت شرطة الكواكب الفرصة لكى تتدخل ... ولكن ..

اتقدت عينا (زونور) وقال :

ـ ولكن ماذا ؟

أجاب كابتن الفضاء فى تؤدة :

ـ ولكن لا داعى للدمار ! اذهب الآن وتحدّث لقومك ..

تردّد (زونور) للحظة ، وثبت نظراته على وجه كابتن (عادل) .

ثم فجأة استدار وانصرف ..
وأخذ كابتن الفضاء يد (فؤاد شهدى) وقال له بلطف :
ـ انهض يا (فؤاد) ! لقد حان وقت الذهاب ..
وقف الرجل العجوز على قدميه فى بطء ..
ثم تهالك فوق الأريكة مرة أخرى ..
وجلس على حافتها .. ووجهه بين يديه ..
وسرعان ما قال بصوت مفعم بالحزن :
ـ لم أستطع أن أمنع نفسى يا (عادل) ! كانت فرصة للرجوع إلى الزمن الذى كنت فيه شابًا ! أجمل أيام العمر !
أمسك كابتن الفضاء بكتف (فؤاد) وقال هامسًا :
ـ بالطبع ! بالطبع أنا أفهم ذلك !
نظر إليه (فؤاد) وغمغم :
ـ أجل ! أظن أنك تفهم ..
ثم نهض وبحث عن شىء يقوله ..
شىء عادى .. مألوف .. متوقع ..
ولكنه أردف مبتسمًا :
ـ ... أظن أنه لا يوجد شىء آخر يمكن عمله .. سوى الذهاب ومواجهة (شيرين) !
هل هى غاضبة ؟
قال (فهد) :

ـ ليس الآن ! لكنها سوف تغضب فيما بعد !
ابتسم (فؤاد) ..
لكن قلبه لم يكن سعيدًا !
خرجوا من مكان النائمين فى رحاب (الحياة الثانية) ..
وساروا فى الممر الطويل ..
إلى القاعات الخارجية ..
وكانت أصوات القتال قد توقفت ..
وسمعوا جلبة من أصوات كثيرة ..
وانسل الكمبيوتر الطائر إلى الداخل ..
وخلفه احتشد عدد كبير من الشباب اليوروبى المتحمس ..
وهم يزمجرون كالنمور !
صاحوا :
ـ هل ندمرهم الآن ؟ هل نحطم الآلات ؟
قال لهم كابتن الفضاء :
ـ كلا .. تحكموا فى أعصابكم ! وأنصتوا ! أين (زونور) ؟
دفعوا (زونور) إلى الداخل .. خلال الزحام المحتشد ..
وعاملوه بخشونة ..
لكنه كان لا يزال محتفظًا بكبريائه .. وكرامته ..
ووقف يترقب ما يحدث ..
تحدث كابتن الفضاء ببطء .. حتى يسمعه كل الموجودين ويفهموا ما يقول :

ـ هذا هو اقتراحى ! يوجد كثير من المسنين الذين عاشوا طويلاً فى (الحياة الثانية) للذاكرة .. وعظمة الماضى .. والتى بدونها يموتون ! والسر نفسه أعظم وأهم من أن يفقد .. ولذلك أعرض هذا الحل !

تريث لبرهة ثم استطرد قائلاً فى تؤدة :

ـ ... أن تنقل الآلات إلى أحد الأقمار المهجورة الصغيرة لكوكب (بلوتو) !

وأن يذهب معها كل من يريد ذلك .. وسوف يعتبر ذلك نوعًا من النفى تحت رقابة شرطة الكواكب .. وهكذا تختفى (الحياة الثانية) من القمر (يوروبا) نهائيًا ! ترى هل يستحق هذا العرض .. موافقتكم ؟

نظر إلى (زونور) الذى لم يكن له خيار ..

وكان يدرك ذلك !

لكنه لم يكن مهتمًا بشىء ..

طالما كان حلمه الذى يعشقه .. مأمونًا .. وبعيدًا عن أى خطر ..

ثم قال :

ـ لا بأس به .. إنه أفضل مما كنت آمل !

تحدث كابتن الفضاء إلى الشباب اليوروبىّ :

ـ وأنتم .. ما هى كلمتكم ؟

ثارت مناقشات حادة فيما بينهم ..

وهزوا قبضاتهم .. وتجادلوا ..

وهم عطشى للتدمير .. والقتل !

لكن أخيرًا تقدم الشاب الذى حضر مع كابتن الفضاء و(فهد) ..

خطوة إلى الأمام وقال :

ـ طالما أن (الحياة الثانية) سوف تغادر (يوروبا) إلى الأبد .. فإننا لن نعارض ذلك !

وتريث لبرهة ثم أردف مبتسمًا :

ـ ... إننا ندين لك بالكثير .. فلولاك لما تحررنا .. وحطمنا قيودنا !

شعر كابتن الفضاء بارتياح شديد ..

أكثر مما كان سوف يشعر به لمجرّد توفير القليل ..

من المعرفة التراثية بماضى .. الإمبراطورية الفضائية القديمة !

ومرة أخرى تفادى نظرات (فهد) ..

وعدسات عيون الكمبيوتر الطائر ..

وقال لـ (زونور) :

ـ لقد انتهى الأمر عند هذا الحد ! أيقظ النائمين .. وأتح لهم الوقت الكافى .. ليفكروا .. ويختاروا .. وسوف أتحقق من

اتخاذ الترتيبات اللازمة .. لنقل وتسكين أولئك الذين يرغبون في الذهاب !

ثم أمسك بـ (فؤاد) من ذراعه برفق ..

وهزه من التفكير الحالم الذى كان غارقًا فيه !

وقال له هامسًا :

ـ هيا بنا ! لقد انتهينا من هنا .. وإلى الأبد !

ـ ٩ ـ

كانوا يسيرون عبر المطار الفضائى ..

الخمسة كلهم : كابتن الفضاء و (شيرين) و (فؤاد) والكمبيوتر الطائر و (فهد) ..

متوجهين إلى سفينة الفضاء (الشهاب) ..

وسط الوهج القرمزى للكوكب العملاق .. المشترى ..

قال الكمبيوتر الطائر شيئًا كان فى عقله البشرى ..

طوال تلك الأيام ..

التى جاهد كابتن الفضاء خلالها ..

لكى ينتهى من نقل المنفيين بإرادتهم .. إلى أحد أقمار كوكب (بلوتو) !

ـ كابتن (عادل) ! هل كان ذلك شفقة بهم ؟ أم أنك أردت أن تعيش (الحياة الثانية) بنفسك يومًا ما ؟

أجابه كابتن الفضاء بتؤدة :

ـ لست متأكدًا ! إنه شىء خطير جدًا .. لو تدخلنا فيه كثيرًا .. ومع ذلك فعن هذا الطريق .. يمكن الحصول على قدر كبير من المعلومات عن الماضى .. ولو كان أى رجل متأكدًا من نفسه .. ومن عقله ذاته !

ثم هزّ رأسه وصمت ..

نظر الكمبيوتر الطائر إلى (فهد) وقال بمرح :

ـ يجب عليك يا (فهد) .. أن تجرّب (الحياة الثانية) فى وقت ما !

دمدم (فهد) قائلاً :

ـ (الحياة الثانية) ! سوف تكون تجربة مثيرة .. أن أتعلم كيف كان يشعر الحديد الخام عند صبه .. والإلكترونات عند تجميعها !

أسرعوا جميعًا فى طريقهم إلى السفينة الفضائية ..

لكن (فؤاد شهدى) سار آخرهم ..

بخطوات متثاقلة ..

وعلى وجهه العجوز المتغضن ..

ما زالت الظلال موجودة عندما نظر خلفه ..

إلى الماضى الذى تذكره .. بل عاش فيه لوقت ما ..

الأيام الضائعة .. المشرقة ..
حيث كانت روعة الحب .. وإشراقة الأمل .. فى الغد ..
الماضى .. الذى لن ينسى إلى الأبد !

★ ★ ★

سلسلة **نوفا** للخيال العلمىّ

الصوت .. القاتل

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٨٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٣٧٠٠٢

جلست (لونا) بالقرب من الغابة ..
فوق كوكب بعيد ..
وكان وهج الشمسين اللتين تشرقان على عالمها .. النجم الثنائى ..
يلقى أشعة صفراء رفيعة على وجهها الفاتن الأشقر ..
حدقت (لونا) فى الأغصان الصغيرة المتألقة ..
وأحست بخدر النعاس يسرى فى جسدها ..
قريبًا سوف تغرب الشمسان ..
ويبدأ وقت الهدوء والسكينة .. والراحة ..
الظلام والصمت !
أخذتها الألوان من حولها .. بعيدًا ..
إلى دوامة من العواطف والأحاسيس الغريبة ..
ولكنها قاومت لتعود إلى ما كانت عليه ..
بدا وقتئذ أن الوقت مبكر للنوم .. وأن عليها أن تنتظر ..
أرهفت (لونا) سمعها ..
أذناها الكبيرتان جميلتا الشكل ..
كانتا تجمعان الأصوات الضعيفة ..
فى عالمها الصامت .. الساكن ..
وكانت خبيرة فى تفسيرها ..
وصادفتها بالطبع أصوات عالية نادرة ..

إلا أنها تعلمت ألا تخاف منها ..
وعرفت كيف تغطى أذنيها براحتى يديها ..
ثم تقرب مرفقيها من بعضهما ..
حتى يتلامسا ..
وبينما هى تنصت الآن ..
سمعت فقط أصوات الكائنات الحيّة الصغيرة ..
وهى تستعد للمساء ..
وبالرغم من أن الكون يسوده الهدوء .. والصمت ..
إلا أنها شعرت بخوف مفاجئ !

- ١ -

أغلقت عينيها الذهبيتين .. وحولت وجهها إلى الشمسين المشرقتين .. فى جلال ..
وأحست بدفئهما .. وحضنهما الوادع ..
الذين يلمسانها فى حنان ..
وأرسل الجلد الوردى الرقيق لجسدها ..
تحية فراق صامتة إلى الشمسين اللتين توشكان على الرحيل .
عن كوكبها ..
وفجأة انهمر ضوء شديد .. وهّاج ..
لدرجة أنها شعرت به ..
من خلال جفنيها الرقيقين ..

ووصلتها أصوات ودمدمات من على البعد ..
لكنها كانت عميقة ومنخفضة .. فلم تسبب لها أى مضايقة ..
بعد لحظات اعتدلت (لونا) فى جلستها ..
واستيقظت تمامًا ..
وقد داخلها الرعب !
إذ أصبح الصوت عبارة عن صراخ حاد .. ومؤلم ..
حتى إن العشب الأخضر الذى كانت تلعب عليه ..
منذ أن كانت طفلة صغيرة ..
بدا خائفًا أيضًا !
نظرت إلى أشجار الغابة بدهشة ..
إذ بدا لونها الآن أخضر ضاربًا إلى السواد ..
واختفى توهجه ولمعانه !
وفى لحظة أصبح الصراخ عاليًا جدًا .. صاخبًا ..
ارتجفت (لونا) وركضت إلى داخل الب ات العالية ..
التى تحيط بها ..
معتقدة أن ذلك مكان جيد للاختباء فيه ..
ولعلها تقضى المساء فى هدوء هنا ..
لتثبت لصديقتها أنها غير خائفة ..
سرت فى جسمها موجة من الكبرياء للحظات ..
لكن هذا الإحساس سرعان ما تبدد ..

عندما شاهدت ما يقترب منها .. عبر العشب والنباتات !

- ٢ -

استقرت سفينة الفضاء فوق العشب الغريب ..
وأحست (لونا) بالأرض تهتز قليلاً تحت قدميها ..
وحدقت من خلال النباتات .. ويدها تمسك بأحد الأغصان ..
أصبحت الشمسان منخفضتين جدًا ..
وعندما رأت الشبحين يخرجان من السفينة الفضية ..
أدركت أن الصوت المنخفض الذى سمعته من قبل ..
له علاقة بهذا الشىء الجاثم أمامها الآن ..
وتساءلت عما إذا كان أحد فوق الكوكب ..
قد شاهد أيضًا هذا الشىء الجديد ..
ولعله يعرف ما هو .. ويحميها منه ..
جاء الصوت المؤلم مرة أخرى ..
وخفق فى صدغيها للحظة ..
ثم اختفى !

★ ★ ★

سار الشبحان المرتديان حلتى فضاء ..
فوق العشب .. بينما (لونا) تراقبهما ..
أخرجت رأسها من خلال أفرع الشجر .. لكى تراهما جيدًا ..
ولمست إحدى الأوراق خدها فى رقة ..

وقفت وجعلت نفسها مرئية ..
ولوّح لها أحد الشبحين بذراعه ..
وأقبل نحوها !
تساءلت فى نفسها :
ـ ترى ما الذى يمكن أن أخافه منهما ؟
أرادت أن تركض إلى ذلك الشىء الفضى .. الذى هبط من الفضاء ..
لكن صوت عقلها كان قويًا :
ـ كونى حذرة !
نظرت إلى الشبح الذى اقترب منها الآن ..
وتعجبت ، لماذا يرتدى هذا الغطاء الشفاف فوق رأسه ..
واستطاعت أن تلاحظ أنه يبتسم لها ..
وأن هناك شعرًا كثيفًا أسود .. يحيط بوجهه الأسمر الوسيم ..
أقبل الشبح الآخر وراءه ..
ثم خلعا خوذتيهما .. كما لو كانا قد قرءا أفكارها !
حدقت فى الشكل الغريب لجلدهما ..
سار أحدهما نحوها .. مادًا يديه اللتين يحيط بهما قفازان ..
تساءلت فى نفسها :
ـ ترى هل هذا خطر عليها ؟
كان منظره ممتعًا .. وسارًا ..
بالطبع إنه قادم من مكان بعيد ..

ربما من الجانب الآخر للتلال الزرقاء ..
أو من أقصى أطراف الكوكب !
جلست على العشب .. وأشارت لهما أن يفعلا مثلها ..
ترددا هنيهة ثم جلسا .. ووضعا خوذتيهما بجانبهما ..
تفرس الأول فى وجهها ..
ثم أشار إلى الفضاء ..
فأومأت برأسها وابتسمت معبرة عن فهمها ..
وحاولت رسم علامة وطنها فى الهواء .
لكن ذلك كان صعبًا ..
فكيف تعبر عن الشاطئ والبحيرة والمعابد والتماثيل ؟
ابتسم الغريب لمجهوداتها .. ونظر إلى رفيقه ..
لمست يده برقة ..
كانت دافئة جدًا بدون القفاز الثقيل ..
تراجعت إلى الخلف
ثم نهضت وأومأت إليه أن يتبعها ..
وأشارت للآخر أن يبتعد ..
لكنه بقى فى مكانه !
تساءلت فى حيرة لنفسها :
ـ ترى ألم يفهم ما أقصده ؟
قال رائد الفضاء الثانى :
ـ أظن أنها تريدك أنت .. وتريد منى أن أبتعد !

سمعت الصوت المؤلم ..
يخرج من فمه ..
فوضعت يديها فوق رأسها وهى تتأوه ..
كان الصوت مرتفعًا جدًا .. ومزعجًا للغاية ..
لم يكن ينتمى قط .. لعالمها الهادئ .. الوادع ..
الذى تعيش فيه !
تغلغل الصوت المؤلم فى جسدها الرقيق كله ..
وارتعدت بشكل لم تعد تسيطر فيه على نفسها ..
سرت نبضات الصوت فى أعصابها ..
وبدا أن رأسها سوف ينفجر !
قال رائد الفضاء الأول الذى أعجبت به :
ـ إنها فتاة رائعة الجمال !
صاح فيها إحساس داخلى :
ـ اركضى !
أصبح الصوت المؤلم أكثر سوءًا ..
وبدأ يعتصر بدنها بقسوة ..
هل يمكن أن يكون لهذا الصوت معنى ؟
كادت الشمسان تغربان الآن ..
وبدأ المساء بسكونه المعتاد .. يقترب مسرعًا ..
وتلألأت بعض النجوم فى السماء .. معلنة عن وجودها .
كان الرجلان يحدقان فيها بذهول ..

وهى تتعذب ..
رأت شفتى الرجل الأول تتحركان ..
ثم وصل إلى أذنيها ذلك الصوت المدوى .. الذى لا يحتمل ..
استدارت وبدأت تركض تجاه مدينتها القريبة ..
بجوار شاطئ البحيرة ..
تابعها الصوت المؤلم :
ـ انتظرى أيتها الفاتنة .. لا تذهبى .. ارجعى إلىَّ !
وظل هذا الصوت يصرخ .. ويدوى .. ويدمرها من الداخل ..
عبر السماء المظلمة وراءها ..
سقطت على التل الأول .. والتفتت لتنظر إلى السماء والنجوم ..

وشعرت لآخر مرة بالعشب الطرىّ .. وراء ظهرها ..
ارتعد جسدها بقوة .. ثم سكن تمامًا !

★ ★ ★

اقترب منها رائدا الفضاء ..
ركع الأول بجانبها ليعرف ما الذى حدث لها ..
ثم نهض ببطء .. وقال بصوت مفعم بالحزن :
ـ لقد ماتت !
قال الثانى بذهول :
ـ ماتت ! هل من الخوف ؟
تريث الأول لعدة ثوان ثم قال :
ـ أعتقد أن الصوت قتلها ! فهذا الكوكب كما ترى ساكن تمامًا .. وأى صوت يعتبر تلويثًا لبيئته !
همس رائد الفضاء الثانى .. وهو يحدق فى الفتاة الرقيقة .. المسجاة :
ـ أتعنى أن الذى قتلها .. الصوت المرتفع .. التلوث الضوضائى ؟
أومأ رائد الفضاء الأول برأسه ..
دون أن يتكلم ..
احترامًا لهذا العالم الصامت .. الهادئ .. !

★ ★ ★

سلسلة **نوفا** للخيال العلمىّ

مدينة الأشباح

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٨٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢

أطلقت وسائل الإعلام على أول بعثة إلى كوكب المريخ :
« مستكشفو الأفق الجديد »
لكن سفينة الفضاء التى ذهبت بهم إلى هناك ..
تحطمت إثر اصطدامها بصحراء مريخية ..
وقتل كل من كانوا على متنها ..
لكن رجلاً واحدًا نجا بأعجوبة ..
هو رائد الفضاء (ناجى كامل) ..
الذى أخذ يهذى ببعض الكلمات من وقت لآخر ..
وسط الرياح الدائمة المحملة بالرمال ..
احتقر نفسه للكبرياء التى شعر بها فى أول الرحلة ..
ثم خفت حدة غضبه بعد كل كيلومتر مشاه ..
وأصبح حزنه الأليم على أصدقائه ..
سببًا لصداع شديد ينتابه ..
وأدرك (ناجى) ببطء ..
أنه ارتكب حماقة مدمرة ..
إذ لم يقدر السرعة التى كانت تنطلق بها سفينة الفضاء ..
حق قدرها ..
بعد أن تعطل جهاز الكمبيوتر ..
واعتقد أنه سوف يحتاج إلى الطيران ثلاثمائة كيلومتر ..
للوصول إلى البحر القطبى الضحل ..

الذى لاحظه هو والآخرون ..
بينما كانوا يقتربون من كوكب المريخ ..
قادمين من الفضاء الخارجى ..
ولابد أن السفينة انطلقت كالبرق لمسافة طويلة جدًا ..
قبل أن تختل ، ويفقدون السيطرة عليها ..
نظر (ناجى) إلى الأفق طويلاً ..
ولم يكن يدرى فى تلك اللحظات شيئًا ..
عن تلك المغامرة المذهلة ..
التى كانت فى انتظاره !

- ١ -

مر عليه يوم بلا نهاية ..
تمامًا مثل الرمال الحمراء الساخنة .. الغريبة ..
التى اخترقت ملابسه الممزقة ..
واستمر (ناجى) كشبح حزين ..
فى التحرك عبر القفار القاحلة .. التى لا تنتهى ..
لكن كان عليه ألا يستسلم أبدًا ..
متسلحًا بقوة الإرادة البشرية ..
وعندما وصل إلى النافورة الجافة المصنوعة من المرمر الأبيض ..
كان طعامه قد نفد منذ وقت طويل ..

ولم يبق سوى زمزمية ماء واحدة .. من الأربـع التى كانت معه ..

وأدرك أن معنى هذا .. أنه يجب أن يقتصد فى الماء ..

ومن ثَمَّ أخذ يبلل شفتيه .. ولسانه المتقرح فقط ..

كلما شعر بالعطش ..

تسلق (ناجى) أرضًا عالية .. قبل أن يعرف أنها لم تكن كثبانًا رملية أخرى ..

اعترضت طريقه .. إلى المجهول !

توقف وحدَق فى الجبل الشاهق الذى أمامه ..

ثم انكمش خوفًا .. من الغربة ..

وللحظة شعر بتفاهة هذا السباق المجنون العابث ..

إلى لا مكان ..

وبعد قليل صعد إلى قمة الجبل ..

شاهد تحته هوّة سحيقة ..

محاطة بتلال عالية ..

وكانت تقبع مدينة صغيرة واحدة ..

فى هذا الوادى الواسع ..

تمكن (ناجى) من رؤية أشجار ..

وأرضية من المرمر لمساحة واسعة ..

بها نحو عشرين مبنى متجاورة ..

تكوّن مربعًا مركزيًا هائلاً ..

كانت جميع المبانى منخفضة ..

لكن من بينها أربعة رفيعة .. وطويلة ..

وكانت تلمع فى ضوء الشمس .. ببريق مرمرى أخّاذ ..

ثم تناهى إلى سمع (ناجى) صوتًا حادًا عالى الطبقة ..

ارتفع فجأة ثم تناقص .. وتلاشى !

وعاد مرة أخرى بشكل واضح .. مضجر ..

حتى عندما ركض (ناجى) تجاهه ..

ظل الصوت يزعجه بطريقة خفية .. وغير طبيعية !

★ ★ ★

واصل هبوطه فوق الصخور الملساء ..

ثم تعثر وسقط .. وأصيب جسده المرهق بالكدمات ..

وتدحرج نصف المسافة إلى الوادى ..

وظلّت المبانى جديدة .. ومشرقة .. عندما نظر إليها من مكان قريب ..

كانت جدرانها تومض عاكسة للضوء ..

ومن كل ناحية شاهد النباتات والشجيرات الخضراء الضاربة إلى الحمرة ..

والأشجار الصفراء المحملة بثمار أرجوانية ..

يمم (ناجى) بعزم لا يلين تجاه أقرب شجرة مثمرة إليه ..

ومن قريب بدت جافة ..
بيد أن الثمرة الأرجوانية الكبيرة التى قطفها من أقرب فرع ..
كانت طرية وممتلئة بالعصير ..
وعندما رفعها إلى فمه .. تذكر التحذيرات التى وجهت إليه ..
فى أثناء فترة تدريبه فى أكاديمية الفضاء العربية ..
بعدم تذوق أى شىء على كوكب المريخ ..
إلا بعد تحليله كيميائيًا ..
لكن هذه نصيحة لا معنى لها ..
لرجل يكاد يتضور جوعًا !
إلا أن احتمال وجود خطر .. جعله حذرًا ..
فأخذ أول قضمة فى بطء .. واحتراس ..
كان الطعم لاذعًا على لسانه ..
ولذلك لفظها بسرعة ..
والقليل من العصير الغريب الذى بقى داخل فمه ..
أخذ يحرق لثته ..
وشعر (ناجى) بالنيران تشتعل داخله !
ثم ترنح فى حالة من الدوار .. والغثيان ..
وبدأت عضلاته ترتعد ..
فتمدد فوق المرمر .. لمنع نفسه من السقوط ..
فوق تربة المريخ ..

وبعد ما بدا أنه ساعات من العذاب ..
اختفت الرعشة الرهيبة من جسده ..
وعاد إليه إبصاره ..
ونظر بازدراء إلى الشجرة !
وفى النهاية زال عنه الأمل ..
وبدأ يسترخى ببطء ..
وسرت نسمة رقيقة حفت لها أوراق الأشجار ..
ودهش (ناجى) عندما لاحظ أن الرياح هنا فى الوادى ..
تعتبر همسة فقط بالنسبة لما كانت عليه فى الصحراء المنبسطة وراء الجبال ..
والآن لم يعد هناك أى صوت آخر ..
وتذكر (ناجى) فجأة .. ذلك الصفير الحاد الذى سمعه ..
تمدد فى سكون وهو ينصت باهتمام ..
لكن لم يسمع سوى حفيف أوراق الأشجار ..
أما الصوت الحاد فتوقف !
وتساءل فى نفسه :
ـ هل كان هذا تحذيرًا لكائنات أخرى .. بقدومه ؟
وقف (ناجى) على قدميه .. فى قلق ..
وبحث عن مسدسه الليزرى ..
ثم سرى فى جسده إحساس بحدوث كارثة ..

إذ لم يجد المسدس !
طارت كل الأفكار من ذهنه ..
ثم تذكر أنه فقده فى أثناء تحطم سفينة الفضاء ..
نظر حوله فى حيرة ..
لكنه لم يجد أى أثر يدل على وجود أى مخلوقات حيّة ..
استجمع كل قواه .. بيد أنه لم يتمكن من التحرك ..
إذ لم يكن هناك مكان يذهب إليه ..
وأدرك أن عليه أن يقاتل حتى آخر نفس له ..
لكى يبقى فى هذه المدينة .. الغريبة ..

★ ★ ★

تناول (ناجى) رشفة بحذر من زمزمية الماء ..
رطّب بها شفتيه المتشققتين .. ولسانه المتقرح ..
ثم أعاد ربط الغطاء بإحكام .. وشق طريقه وسط صف مزدوج من الأشجار .. متجهًا إلى أقرب مبنى !
سار فى دائرة واسعة لكى يراقب هذا المبنى .. من زوايا مختلفة ..
ومن أحد الجوانب كانت توجد فتحة واسعة .. مقوسة من أعلى ..
تفضى إلى الداخل ..
لمح (ناجى) منها بصعوبة بريقًا صادرًا .. من أرضيتها المرمرية ..

تفحص المبنى من الخارج ..
مع تأكده أن هناك مسافة كافية ..
بينه وبين أىّ من مداخله ..
لم يجد أى أثر لكائنات غريبة ..
وصل إلى الجانب البعيد من المنصة المرمرية ..
التى شيدت المدينة عليها ..
ثم عاد أدراجه وقد حسم أمره ..
فقد حان وقت استكشاف هذه المبانى من الداخل ..
ومواجهة أى أخطار محتملة !

- ٢ -

اختار (ناجى) واحدًا من المبانى الأربعة الشاهقة ..
وعندما اقترب إلى مسافة عدة أمتار منه ..
وجد أنه مضطر للانحناء قليلاً .. لكى يتمكن من الدخول ..
وفى الحال جالت فى ذهنه خواطر .. أوقفته عن الحركة ..
فهذه المبانى أقيمت لنوع من الحياة ..
لابد أنها تختلف تمامًا عن حياة البشر !
تقدم مرة أخرى وانحنى قليلاً ..
ودخل ببطء .. وكل عضلاته متوترة .. لتوقعه مقابلة كائنات غريبة !

★ ★ ★

وجد نفسه فى حجرة مجردة من الأثاث ..
لكن كانت هناك بعض الأسوار المرمرية المنخفضة .. بارزة من جدار مرمرى ..
كونت ما يشبه أربع أحواض واسعة ..
كل منها مكشوف ومنحوت فى الأرضية ..
وكانت الحجرة الثانية مجهزة بأربعة مستويات مائلة من المرمر ..
وتنحدر كلها ناحية أريكة عالية ..
يوجد بجانبها طريق دائرى .. صاعد إلى أعلى ..
فى نهايته برج .. على ما يبدو ..
لم يستكشف (ناجى) الدرج الصاعد ..
والخوف الذى شعر به من قبل ..
من احتمال مصادفته لحياة غريبة ..
بدأ يتحول إلى اعتقاد جازم بأن هذا لن يحدث ..
وانعدام الحياة .. معناه عدم وجود طعام ..
ولا أى فرصة للحصول عليه ..
أخذ (ناجى) يركض من مبنى إلى آخر ..
محدقًا فى الحجرات الساكنة ..
ومتوقفًا للصياح بكل قوته !

★ ★ ★

وأخيرًا لم يعد هناك أى شك ..
فهو الآن بمفرده .. فى مدينة مهجورة ..
على سطح كوكب خال .. من أى حياة أو طعام أو ماء ..
باستثناء القليل من الماء المتبقى فى زمزميته ..
وبدون أى أمل !
كان (ناجى) داخل حجرة فى أحد المبانى الشاهقة ..
عندما تبين له أن هذه هى نهاية رحلته ..
وفى أحد أركان الحجرة .. شاهد أريكة بارزة من الجدار ..
رقد فوقها وهو متعب ..
ولابد أنه استسلم للنوم من فوره ..
وعندما استيقظ أصبح متنبهًا لأمرين ..
حدث أحدهما بعد الآخر ..
الأمر الأول وقع قبل أن يفتح عينيه ..
عاد الصوت الحاد ..
وخفق بأقصى درجة يمكن للإنسان سماعها ..
والأمر الثانى .. أن رذاذًا دقيقًا من سائل ما ..
كان موجهًا ناحيته من السقف ..
وبدت رائحته لاذعة .. خانقة ..
وبمجرد أن لمست جسم (ناجى) ..
انطلق يعدو من الحجرة ..

وهو يسعل والدموع تترقرق فى عينيه ..
ووجهه يحترق بالفعل من تأثير التفاعل الكيميائى الحادث ..
خطف منديلاً من جيبه .. ومسح به بسرعة الأجزاء المكشوفة من جسمه ..
ثم وصل إلى الخارج وتوقف هناك ..

يقدح ذهنه لكى يفهم ما الذى حدث !

★ ★ ★

لم يبد أن شيئاً ما فى المدينة .. قد تغير عن ذى قبل ..
إذ كانت أوراق الأشجار الغريبة .. ترفرف من تأثير النسيم ..
وظهرت الشمس مستقرة فوق قمة أحد الجبال الحمراء ..
خمن (ناجى) من موضعها أن الوقت كان صباحًا مرة أخرى ..
وأنه نام على الأقل اثنتى عشرة ساعة ..
وغطى الضوء الأبيض المتوهج كل الوادى ..
وبدت المبانى تلمع .. وتومض ..
أدرك (ناجى) أنه وسط واحة فى صحراء واسعة ..
لكنها ليست للإنسان ..
بل ربما لكائنات مريخية غريبة !
أما بالنسبة له .. فقد كانت وثمارها السامة ..
أشبه بسراب مروّع !
دخل مرة أخرى فى المبنى .. وحدّق بحرص فى الحجرة التى نام فيها ..
كان الرذاذ الغازى قد توقف .. وأصبح الهواء منعشًا .. ونقيًا .
انحنى (ناجى) فوق الأريكة المرمرية المرتفعة .. وهو نصف مائل ..
لعمل اختبار لها ..
كانت فى ذهنه صورة كائن مريخى .. مات منذ زمن طويل ..

رابضًا فى تكاسل فوق سطح الأريكة ..
حيث ينطلق الرذاذ الغازى .. ليريح جسده ..
وحقيقة كون أن هذا الغاز مميت للإنسان ..
أكدت له .. مدى غرابة الحياة التى كانت موجودة على كوكب المريخ ..
لكن لم يكن هناك شك كبير فى سبب الرذاذ الغازى ..
إذ كان المخلوق المريخى معتادًا على أخذ حمّامه كل صباح !
أراح (ناجى) قدمه فوق الأريكة ..
وعندما تحاذى جسمه مع سطحها ..
أخذ السقف الصلب يرش رذاذًا من غاز ضارب إلى الصفرة ..
يهبط من أعلى على ساقيه مباشرة ..
اندفع (ناجى) بسرعة من فوق الأريكة ..
وعندئذ توقف الغاز مثلما بدأ !
حاول مرة أخرى .. للتأكد فقط مما إذا كانت عملية آلية ..
وفعلاً بدأ الرذاذ .. ثم توقف !
تباعدت شفتا (ناجى) المتقرحتين من العطش ..
تعبيرًا عن الدهشة .. وقال لنفسه :
ـ إذا كانت هناك عملية آلية واحدة .. فلربما وجدت غيرها !
أخذ نفسًا عميقًا ثم أسرع داخلاً فى الحجرة التالية ..

ودفع ساقيه فى أحد الأحواض ..
وبمجرد دخول كل جسمه فيه ..
امتلأ الحوض المجاور الموجود بجوار الجدار ..
بسائل سميك يغلى ..
حدّق (ناجى) فى الطعام الذى يشبه الشحم ..
بانبهار مروّع ..
إنه طعام وشراب !
وفجأة .. تذكر الثمرة الأرجوانية المسمومة .. وشعر برغبة فى الفرار ..
لكنه ضغط على نفسه .. لكى ينحنى ويضع إصبعه فى المادة اللزجة الساخنة ..
ثم رفعه وهو يتقاطر إلى فمه ..
كان مذاق السائل عديم النكهة .. ولبّى ..
كألياف الخشب المغلية ..
انزلق ببطء فى حلقه ..
ثم بدأت الدموع تتساقط من عينيه ..
وابتعدت شفتاه فى تشنج ..
وأدرك أنه سوف يصاب بالمرض ..
ركض ناحية الباب الخارجى ..
وبمجرد أن أصبح فى الطريق ..

شعر بأنه يترنح .. ويفقد السيطرة على نفسه ..
وفى هذه الحالة الذهنية المشوشة ..
سمع الصوت الحاد القوى مرة أخرى !

- ٣ -

دهش (ناجى) لأنه تجاهل هذا الصرير المزعج ..
حتى ولو لبضع دقائق ..
نظر حوله فى اهتمام محاولاً تحديد مصدره ..
لكنه فشل تمامًا !
وكلما اقترب من مكان يبدو فيه الصوت أعلى من غيره ..
انعدم الصوت .. أو ربما انتقل إلى الجانب البعيد من المدينة ..
حاول (ناجى) أن يتخيل .. ما الذى تريده أى حضارة غريبة ..
من الضوضاء المحطمة للعقول !
برغم أنها بالطبع قد لا تكون بالضرورة مقلقة للكائنات المريخية ..
ثم توقف وأطبق أصابعه بقوة ..
بعد ما خطرت فى ذهنه .. فكرة عجيبة ..
لكنها معقولة !
تساءل فى نفسه :
- ترى هل هذه موسيقى من نوع ما ؟

أخذ (ناجى) يبحث هذه الفكرة ..
محاولاً تخيل صورة المدينة ..
كما كانت عليه منذ زمن طويل ..
فهنا ربما قامت كائنات غريبة محبة للموسيقى ..
بأداء واجباتها اليومية ..
بصحبة ما اعتبرته نغمات متآلفة .. جميلة !

★ ★ ★

استمر الصفير البشع يدوى ..
وهو يشتد .. ويخفت ..
وحاول (ناجى) أن يجعل المبانى بينه .. وبين هذا الصوت الحاد ..
بل اختبأ فى مختلف الحجرات ..
آملاً فى أن تكون إحداها .. عازلة للصوت ..
ولكن دون جدوى ..
فقد طارده الصوت فى كل مكان لجأ إليه ..
تقهقر (ناجى) إلى الصحراء ..
واضطر لتسلق نصف ارتفاع المنحدرات ..
حتى انخفضت الضوضاء بالشكل الذى لم يعد يقلقه ..
وفى النهاية .. جثم على الرمال ..
وهو متقطع الأنفاس ..

وفكر لنفسه :

ـ والآن ما العمل ؟ والموت قريب !

تلفت حوله فى قلق ..

وبدا كل شىء مألوفًا له ...

الرمال الحمراء .. والتلال الصخرية .. المدينة الصغيرة الغريبة ..

التى تعد بالكثير .. ولكنها لا تقدم فعلاً سوى القليل ..

نظر بعينيه الزائغتين ..

وحرك لسانه المتقرح على شفتيه الجافتين .. المتشققتين ..

وأدرك أنه سوف يلقى حتفه لا محالة ..

ما لم ينجح فى تغيير آلة صنع الطعام الأتوماتيكية ..

التى لابد أنها مخبأة فى مكان ما من الجدران ..

وتحت أرضيات المبانى !

لاشك أنه فى الأزمان الغابرة ..

كان يعيش هنا فى هذه المدينة ..

نوع ما من الحضارة المريخية ..

ثم مات السكان عن آخرهم ..

لكن المدينة نفسها بقيت ..

وحافظت على نظافتها من الرمال ..

وهى جاهزة فى أى وقت لإيواء أى كائن مريخى ..

يمكن أن يأتى إليها ..

ولكن لا يوجد هنا أى مريخىّ

بل فقط رائد الفضاء (ناجى كامل) ..

قائد أول سفينة فضاء مأهولة .. إلى كوكب المريخ !

كان عليه أن يغيّر المدينة ..

ويدفعها إلى صنع الطعام والشراب ..

الذى يمكنه تناوله ..

بدون أدوات سوى يديه ..

ودون أى معلومات تقريبًا عن الكيمياء ..

أجل .. يجب عليه تغيير أحوال .. وعادات المدينة !

رفع (ناجى) زمزمية الماء بحذر ..

وتناول رشفة ..

وكبح جماح نفسه .. حتى لا يشرب الماء إلى آخر قطرة ..

وعندما نجح فى معركة قوة الإرادة هذه ..

وقف وحدّق فى المنحدر الذى أمامه ..

قدّر أخيرًا أنه سوف يستمر حيًّا .. لمدة ثلاثة أيام على الأكثر !

وفى خلال هذه المدة ..

لابد أن ينتصر على مدينة الأشباح !

ـ ٤ ـ

كان (ناجى) فعلاً وسط الأشجار ذات الثمار الأرجوانية ..
عندما فوجئ بأن « الموسيقى » توقفت ..
وبعد أن استراح .. انحنى فوق شجيرة صغيرة ..
وأمسكها بقوة ثم جذبها إلى أعلى ..
انتزعت الشجيرة بسهولة فائقة ..
ثم وجد قطعة من المرمر ملتصقة بها ..
حدق (ناجى) فى الشجيرة ..
وأدهشه أنه كان مخطئا فى تصور أن الساق .. خرج من حفرة فى قطعة المرمر ..
فقد كان ملتصقا فقط فى سطح أرض الكوكب !
ثم لاحظ شيئا آخر ..
لم يكن للشجيرة أى جذور !
ودفعت الغريزة (ناجى) لكى ينظر فى المكان ..
الذى انتزع منه القطعة المرمرية ومعها النبات ..
لم ير سوى الرمال ..
ألقى الشجيرة .. وجثا على ركبتيه .. ودس أصابعه فى الرمال ..
تحركت الرمال الحمراء السائبة بين أصابعه ..
وصل إلى عمق أكثر ..

واستخدم كل قوته لدفع ذراعه .. إلى أسفل ..
ولكنه لم يجد شيئًا سوى الرمال !
نهض واقفًا .. وانتزع بعصبية شجيرة أخرى ..
خرجت الشجيرة الثانية بسهولة أيضًا ..
ومعها قطعة من المرمر ..
ولم يكن لها أى جذور ..
والمكان الذى انتزعت منه ..
لا توجد به سوى الرمال ..
وأدرك (ناجى) أن وظيفة الحياة النباتية فوق كوكب المريخ ..
هى إنتاج الأكسوجين فى الهواء الجوى !
عصف الشكل والقلق بعقله ..
وتساءل لنفسه :
- أين إذن الآلات التى تدير هذه المدينة ؟
اندفع إلى شجرة مثمرة .. ودفعها بقوة ..
واجهته مقاومة لحظية ..
ثم تشققت القطعة المرمرية الواقفة عليها ..
وارتفعت ببطء فى الهواء ..
سقطت الشجرة مصدرة أصوات تحطم .. وتشقق ..
إثر تكسر فروعها .. وأوراقها اليابسة ..

ولم تلبث أن تحطمت إلى آلاف القطع !
ولم يكن فى مكان اقتلاعها سوى الرمال ..
تخلص (ناجى) ببطء من الدوار الذى أصابه ..
وخطرت له فكرة معينة ..
فالتقط إحدى الشجيرات التى انتزعها منذ قليل ..
وحطمها ووضع قدمه فوق قطعة المرمر الملتصقة بها ..
وضغط بلطف أولاً .. ثم بقسوة تتزايد تدريجيًا ..
وأخيرًا .. تحررت قطعة المرمر ..
لكن بدا واضحًا أن الاثنتين تكونان وحدة متكاملة ..
كانت الشجيرة خارجة من داخل .. قطعة المرمر !
جثا (ناجى) على ركبتيه .. بجوار إحدى الحفر ..
التى انتزع المرمر منها ..
وحدق فى المكان ..
كان عبارة عن صخرة مسامية تقريبًا ..
متكلسة .. وليست مرمرًا حقيقيًا !
وعندما وصل إليها معتزمًا كسر قطعة منها ..
تغير لونها فجأة !
تقهقر (ناجى) إلى الوراء مصعوقًا ..
وحول الكسر بدأ اللون يتحول إلى أصفر برتقالى ..
درس ذلك الأمر بارتياب ..

ثم لمس الصخرة فى تردد !
بدا كما لو أنه دس أصبعه فى حامض قوى ..
وأحس بألم حاد .. حارق ..
وبسرعة أبعد (ناجى) يده .. وهو يشهق ..
وجعله الألم المتواصل يشعر بالإغماء ..
فترنح وتأوه .. وهو يضم أعضاءه المصابة إلى جسده ..
وعندما زال الألم أخيرًا .. وأمكنه أن ينظر إلى مكان الإصابة ..
رأى أن جلده تقشر .. تكونت بالفعل قروح دموية فيه ..
ثم نظر (ناجى) باكتئاب إلى الكسر فى المرمر ..
فوجد أن الحواف ظلت صفراء برتقالية لامعة !

★ ★ ★

عرف أن المدينة واعية .. ومدركة لما يحدث ..
وجاهزة للدفاع عن نفسها .. ضد أى هجوم آخر !
ثم زحف وهو فى غاية الإجهاد إلى ظل إحدى الشجيرات ..
ولم يكن أمامه سوى استنتاج ممكن واحد ..
يخلص إليه من كل ما حدث ..
يتحدى كل ما هو معقول ..
فقد كانت هذه المدينة المهجورة ..
زاخرة بالنشاط .. والحياة !

وبينما هو ممدد هناك ..
أخذ يحاول تصور كتلة ضخمة من المواد الحيّة ..
تنمو حتى تصل إلى شكل المبانى ..
ثم تكيف نفسها لتناسب شكلاً آخر من الحياة ..
وتقبل أن تقوم بدور الخادم .. بأوسع معنى لهذه الكلمة ..
وإذا كانت المدينة تخدم جنسًا ما ..
فلماذا لا تخدم غيره ؟
واستمرت الأسئلة تتلاحق فى ذهن (ناجى) المكدود :
ـ إذا كانت تتكيف للمريخيين .. فلماذا لا تتكيف لتخدم البشر ؟
لكن بالطبع لابد من وجود صعوبات ..
وقد خمّن بوهن أن العناصر الأساسية لن تكون متاحة ..
فالأكسوجين اللازم للماء .. يمكن أن يأتى من الهواء الجوى .. لكوكب المريخ ..
والمركبات الفضائية يمكن أن تصنع من مادة السيليكون الموجودة فى الرمال ..
وبرغم أن ذلك كان معناه الموت المحقق له لو فشل .. فى الوصول إلى حل ..
فقد استغرق فى نوم عميق !

★ ★ ★

عندما استيقظ كان الظلام قد أسدل أستاره ..
صعد (ناجى) بصعوبة إلى أعلى التل على قدميه ..
وكانت عضلاته مجهدة مما أخافه ..
رطّب فمه من زمزمية الماء ..
وسار وهو يترنح تجاه مدخل أقرب مبنى إليه ..
وفيما عدا خطواته المتثاقلة على المرمر ..
فقد كان السكون تامًا !
توقف قليلا .. وأرهف سمعه .. ثم نظر حوله ..
كانت الرياح قد تلاشت تمامًا ..
ولم يعد بإمكانه رؤية الجبال التى تحيط بالوادى ..
ولكنه استطاع بصعوبة أن يرى مبانى المدينة ..
فى شكل ظلال سوداء !
ولأول مرة .. أحس بأنه من الأفضل أن يموت ..
برغم الأمل الجديد الذى ظهر ..
وتساءل فى نفسه :
ـ حتى لو عشت .. فما الذى أفعله ؟
وتذكر جيدًا مدى الصعوبات التى واجهتهم ..
لإثارة الاهتمام بالرحلة الفضائية المأهولة ..
إلى كوكب المريخ .. رابع الكواكب بعدًا عن الشمس ..
ولجمع المبالغ المالية الضخمة المطلوبة ..

ولبناء سفينة الفضاء المتطورة ..
ذات المحركات التى تعمل بالاندماج النووى ..
وأدرك أن بعض من تمكنوا من حل المشاكل الفنية ..
أصبحوا مدفونين فى مكان ما .. بالصحراء المريخية !

★ ★ ★

وربما تمر عشرون سنة أخرى ..
قبل وصول سفينة فضاء ثانية .. مـن كوكب الأرض .. إلـى المريخ ..
الكوكب الوحيد فى المجموعة الشمسية ..
الذى بدت عليه علامات دعم ومساندة الحياة ..
وطوال هذه الأيام .. والليالى التى لا تحصى ..
سوف يظل (ناجى) قابعًا هنا بمفرده ..
فى عزلة مخيفة .. مروعة !
هذا أقصى ما يأمل فيه ..
لو ظل حيًا بالطبع !
وبينما هو يتلمس طريقه إلى الأريكة المرمرية المرتفعـة فـى إحدى الحجرات ..
فكر (ناجى) فى مشكلة أخرى ..
وتساءل :
ـ ترى كيف يمكننى أن أجعل مدينة حيّة .. تعـرف أن عليهـا تعديل عملياتها ؟

لاشك أنها بشكل ما .. لابد أن تكـون قـد عرفـت بـالفعل ـ بذكائها الصناعى ـ أن لديها زائرًا جديدًا ! فكيف أجعلها تدرك أننى فى حاجة لطعام ذى تركيب كيميانى مختلف .. عن ذلك الذى كانت تقدمه فى الماضى ! وإننى أحب الموسيقى ولكن بنمط آخر ! وإنه يمكننى أخذ حمام كل صباح من الماء .. وليس بالغاز السام !

استسلم للنعاس كرجل مريض ..

واستيقظ مرتين .. وشفتاه ملتهبتان .. وعيناه متقدتان ..

وجسده مبلل بالعرق ..

واستعاد وعيه عدة مرات ..

على صوته الأجش .. يصرخ فى غضب ..

وخوف من الظلام الحالك ..

واعتقد وقتئذ أنه يحتضر !

قضى ساعات الليل الطويلة يتقلب ويدور ويتلوى ..

ويتضايق من موجات البرودة ..

وعندما ابتلج ضوء النهار ..

اندهش من إدراكه أنه ما زال حيًا !

هبط (ناجى) فى ضيق من فوق الأريكة ..

واتجه إلى الباب ..

هبت عليه رياح باردة .. لكنه أحس بها منعشة ..

على وجهه الساخن ..

وتساءل عما إذا كان فى دمه من الجراثيم ..

ما يكفى لإصابته بالالتهاب الرئوى ؟

وبعد عدة لحظات أخذ يرتعد ..

عاد أدراجه إلى المبنى ..

ولأول مرة لاحظ أنه بالرغم من وجود مدخل بلا باب ..

فإن الريح لم تكن تدخل المبنى قط ..

فالحجرات كانت باردة .. ولكن بدون تيارات هوائية !

وبدأ تداعى الأفكار والخواطر لديه ..

وتساءل :

ـ من أين أتت حرارة جسدى الرهيبة هذه ؟

وتأرجح يمينًا ويسارًا ..

وهو فى طريقه إلى الأريكة المرتفعة .. التى قضى عليها الليل ..

وخلال عدة ثوانٍ .. كان يعانى من درجة حرارة تبلغ نحو ٧٠ درجة مئوية ..

هبط بسرعة من فوق الأريكة مندهشًا من غبائه ..

وقدر أنه قد عرق على الأقل نحو نصف لتر من الرطوبة التى فى جسمه ..

الذى تقدد فوق هذا السرير من الجحيم !

وأدرك (ناجى) فى قلق ..

أن هذه المدينة لم تكن من أجل البشر ..

فالأسرّة هنا كانت تسخن لمخلوقات تحتاج لدرجات حرارة ..

تزيد بكثير جدًا عما يعتبره البشر مناسبًا لهم !

ـ ٥ ـ

قضى (ناجى) معظم اليوم .. فى ظل شجرة كبيرة ..

وشعر بالإنهاك ..

وكان يتذكر من وقت لآخر أن لديه مشكلة ..

تتعلق بالحياة أو الموت !

وعندما سمع الصوت الحاد ..

تضايق فى البداية ..

لكنه كان متعبًا جدًا لدرجة أنه لم يهرب منه ..

بل وفى أوقات كثيرة لم يكن يسمعه تقريبًا ..

وبدا له أن حواسه بدأت تضعف .. ويدب فيها الوهن !

وفى فترة العصر .. تذكر الشجيرات والأشجار التى انتزعها من قبل

وتساءل عما عساه يكون قد حدث لها ..

رطّب لسانه المتورم بآخر قطرات ماء من الزمزمية ..

ثم نهض على قدميه الضعيفتين ..

وذهب ليبحث عن بقاياها الذابلة ..

لكنه لم يجد أيًا منها ..

بل حتى لم يجد الحفر التى انتزعها منها ..

المدينة الحية امتصت الأنسجة النباتية الميتة داخلها ..

وأصلحت الشقوق التى فى جسمها !

أثار ذلك (ناجى) .. وبدأ يفكر مرة أخرى ..

فى التحولات الحيوية .. والتوافقات الوراثية ..

وتكيف أشكال الحياة .. مع بيئات جديدة ..

تذكر أنه تلقى محاضرات فى هذا الموضوع من التكنولوجيا الحيوية ..

قبل مغادرة سفينته الفضائية كوكب الأرض ..
بهدف إحاطة المستكشفين الفضائيين ..
بالمشاكل والعقبات التى قد يواجهونها ..
فوق الكواكب الغريبة ..
وكان الهدف الرئيسى من كل ذلك بسيطًا جدًا ..
إما أن تتكيف .. أو تموت !

★ ★ ★

كان على المدينة أن تتكيف معه ..
وأدرك (ناجى) أن بقاءه على قيد الحياة ..
لابد أن يعتمد على قاعدة صعبة .. وعدائية كهذه !
بدأ يبحث بعصبية فى جيوبه ..
فقبل مغادرة السفينة الفضائية المحطمة
زوّد نفسه بكثير من الأجهزة والأدوات الصغيرة ..
كانت معه مدية .. وفنجان معدنى يطوى .. وجهاز لاسلكى يدوى ..
وبطارية دقيقة من مادة السيزيوم .. يمكن شحنها بوساطة لف عجلة متصلة بها ..
كما أحضر معه .. قدّاحة نيران كهربائية قوية ..
أدخل (ناجى) سلك القداحة فى البطارية ..
ثم حكّ طرفها الشديد السخونة ..

على طول سطح المرمر ..
وسرعان ما حدث التفاعل .. وتحولت المادة المرمرية ..
إلى لون أرجوانى عاصف هذه المرة ..
وعندما تغير لون قطاع كامل من الأرضية ..
اتجه (ناجى) إلى أقرب حوض فى الحجرة ..
ودخل فيه إلى مسافة تكفى لتشغيله ..
انقضت فترة تأخير كبيرة ..
قبل أن يتدفق الطعام أخيرًا فى الحوض ..
وأصبح واضحًا أن المدينة الحيّة أدركت السبب فيما فعله ..
بدا الطعام ذا لون أصفر شاحب ..
بينما كان من قبل رماديًا داكنًا ..
وعندما وضع (ناجى) إصبعه فيه ..
أسرع بإخراجه وهو يصرخ .. ثم مسحه بسرعة ..
وظل يؤلمه بشدة لعدة لحظات ..
وتساءل (ناجى) فى نفسه :
ـ هل قدمت لى المدينة عامدة طعامًا يؤذينى ؟
وقرر أن يعطى المدينة فرصة أخرى ..
فدخل فى الحوض المجاور ..
كانت المادة اللزجة الخشنة التى تدفقت هذه المرة ..
أكثر اصفرارًا ..

ولم تحرق إصبعه ..
ولكن عندما تذوقها .. بصقها بسرعة ..
إذ أحس أن مدينة الأشباح .. قدمت له حساءً عبارة عن ..
خليط من الطين والبنزين !
شعر (ناجى) الآن بالعطش .. بسبب المذاق الكريه فى فمه ..
اندفع فى يأس إلى الخارج .. وأمسك بزمزميته ومزقها إربًا ..
لكى يرتشف أى قطرات ماء يجدها بداخلها ..
وفى أثناء بحثه المحموم عن الماء ..
انسكبت بضع قطرات ثمينة منه على أرض الساحة الواسعة ..
فرمى نفسه على الأرضية .. ومرّغ وجهه فيها ..
وأخذ يلعق الماء بلسانه ..
وبعد نصف دقيقة كان لا يزال الماء موجودًا !
وفجأة .. فهم حقيقة ما يحدث ..
رفع نفسه وحدّق بدهشة فى قطرات الماء ..
التى تساقطت على المرمر الناعم ..
وبينما هو كذلك .. ظهرت قطرة جديدة من باطن السطح الصلب ..

وتلألأت فى ضوء الشمس الغاربة عند الأفق ..
انحنى وأخذ يلعق بطرف لسانه كالإسفنج ..
كل قطرة ماء يراها !
وظل لفترة طويلة وفمه ملتصق بالمرمر ..
يلعق قطرات الماء .. التى تتصدق بها المدينة عليه ..
اختفت الشمس البيضاء المتوهجة .. وراء أحد التلال ..
وعم الظلام فى كل مكان .. وبدأ الهواء يبرد ..
ارتعد (ناجى) عندما تغلغلت الريح فى ثيابه الممزقة ..
لكن الذى أوقفه عندئذ .. انهيار السطح الذى كان يشرب منه !
نهض (ناجى) وهو مندهش ..
وانحنى على حجر المرمر الذى تفتت تمامًا ..
والواضح أن مادته أعطت كل الماء المخزون فيها ..
ثم تقوضت فى أثناء ذلك ..
كان هذا بيانًا عمليًا مقنعًا عن استعداد المدينة لإرضائه ..
لكنه أدرك أن هناك جانبًا آخر أقل إقناعًا ..
فإذا كانت المدينة مضطرة لتدمير جزء منها .. فى كل مرة تقدم له الماء ..
فلا شك أن عطاءها هذا لن يطول إلى الأبد ..
أسرع (ناجى) بالدخول فى أقرب مبنى .. وصعد على الأريكة ..

ثم نزل منها بسرعة .. عندما أوشكت حرارتها أن تحرق جسده ..

انتظر فترة لكى يعطى للعقل المفكر للمدينة ..

فرصة لإدراك أنه يرغب فى التغيير ..

ثم رقد على الأريكة مرة أخرى .. لكن الحرارة كانت فى نفس شدتها السابقة ..

استسلم لواقعه لأنه كان مجهدًا تمامًا .. وفى حاجة للنوم ..

وترك فكرة البحث عن وسيلة تمكنه من إبلاغ المدينة .. بأنه يريد درجة حرارة مختلفة فى أثناء نومه ..

استلقى على الأرضية المرمرية .. والهواجس تنتابه بأنها لن تتحمله كثيرًا ..

واستيقظ عدة مرات خلال الليل .. ليسأل نفسه :

ـ لا يوجد ماء كاف !

ومع ذلك أشرق عليه الصباح وهو حى ..

وعادت إليه إرادته الحديدية مرة أخرى ..

تلك التى مكنته من قطع نحو عشرة كيلومترات عبر صحراء مجهولة له ..

توجه إلى أقرب حوض طعام .. وبعد أن نشطه ..

مرت فترة تزيد على دقيقة واحدة ..

ثم ظهر من قاعه كمية ضئيلة من الماء .. لا تزيد على فنجان صغير ..

لعق (ناجى) الماء حتى آخر نقطة منه ..

ثم انتظر بأمل ظهور المزيد ..

دون جدوى ..

اعتقد فى أسى أن مجموعة كاملة من الخلايا الموجودة فى مكان ما من المدينة ..

لابد أنها تحطمت وقدمت له مخزونها من الماء ..

وفى هذه اللحظات أدرك (ناجى) أن كل شىء يعتمد الآن على الإنسان ..

الذى يستطيع التحرك هنا وهناك ليجد مصدرًا جديدًا من الماء أو الطعام !

بدأ البحث فى جيوبه .. فعندما قارب طعامه على الانتهاء ..

احتفظ ببعض كسرات وأجزاء طعام ملفوفة فى قطع صغيرة من القماش ..

ثم اكتشف جسيمات دقيقة من اللحم والخبز والجبن .

استند (ناجى) إلى الحوض المجاور .. ووضع هذا الفتات داخله ..

ولم تكن المدينة قادرة على إعطائه أكثر من صورة طبق الأصل منها ..

فإذا كان سكب بضع قطرات من الماء .. يجعلها تعرف احتياجه إلى الماء ..

فإن تكرار هذه التجربة قد تعطيها الإشارة التى تحتاج إليها ..
لمعرفة الطبيعة الكيميائية للطعام الذى يمكنه تناوله ..
انتظر (ناجى) ثم دخل الحوض الثانى .. ونشّطه .. فتدفق فى قاعة نحو لتر من مادة سميكة صفراء .. تذوق هذا الطعام .. ووجده ذا مذاق لاذع عفن .. ورائحة نتنة .. وكان جافًا كالدقيق .. إلا أن معدته لم تلفظه !

أكل (ناجى) ببطء .. وهو مدرك تمامًا أنه فى مثل هذه اللحظات ..
كان فى قبضة مدينة الأشباح .. وتحت رحمتها !

ـ ٦ ـ

لم يكن بمقدور (ناجى) قط أن يعرف ما إذا كانت إحدى مكونات هذا الطعام سمًا زعافًا .. وعندما فرغ من طعامه ذهب إلى حوض الطعام فى مبنى آخر ..
ورفض أن يتناول الطعام الذى جاء إليه ..
ولكنه نشّط حوضًا ثانيًا .. وفى هذه المرة تلقى بضع قطرات من الماء !
ثم وصل إلى أحد المبانى العالية .. وبدأ يصعد المنحدر المائل الذى يفضى إلى الطابق العلوى .. تريث برهة فى الحجرة التى وصل إليها ..
وأثار انتباهه أن المنحدر الدائرى استمر فى التفافه الحلزونى إلى أعلى ..
حيث قمة البرج على ارتفاع نحو عشرين مترًا من سطح كوكب المريخ ..
كان ذلك الارتفاع كافيًا له .. لكى يرى ما وراء قمم التلال المحيطة ..
اعتقد ذلك منذ زمن مضى .. لكنه كان أضعف من أن يصعد إلى هنا ..
نظر (ناجى) إلى جميع الآفاق أمامه ..
وسرعان ما تبدد فى صدره الأمل الذى أوصله إلى هذا المكان المرتفع ..

فقد كان المنظر كئيبًا موحشًا بلا حدود ..

وبدت أمامه صحراء حمراء قاحلة .. لا نهاية لها ..

واختفى كل أفق نظر إليه .. وسط ضباب من الرمال التى تذروها الرياح ..

فغر فمه مشدوهًا .. ودب اليأس فى قلبه ..

فإذا كان هناك بحر مريخى فى مكان ما .. فهو بعيد عن مرمى بصره ..

لوّح بقبضته فى غضب لمصيره التعس .. الذى بدا محتومًا الآن ..

وفى أسوإ الحالات كان يأمل أن يجد نفسه فى منطقة جبلية ..

فالبحار والجبال هما عادة المصدران الرئيسيان للماء ..

وبالطبع كان يعرف أن هناك عدة جبال على سطح المريخ ..

مثل جبال أوليمبس .. وبافينوس .. وإسكاريوس ..

هدأت ثورة غضبه لأنه كان يفتقر القوة اللازمة ..

لتحمل العواطف والانفعالات ..

وبدأ يهبط من فوق المنحدر فى لامبالاة ..

مرت عدة أيام .. لم يستطع أن يحصر عددها ..

وفى كل مرة ذهب ليأكل كان يحصل على كمية أقل من الماء ..

وحدّث نفسه كثيرًا بأن هذه سوف تكون آخر وجبة له ..

لم يكن من المعقول أن يتوقع أن تدمر المدينة نفسها .. من أجل بقائه حيًا !

★ ★ ★

أدرك (ناجى) أنه قد خدع مدينة الأشباح .. بخصوص احتياجاته ..

بإعطائها عينات عفنة فاسدة من الطعام .. وهكذا أطال فترة تعذيب نفسه ..

وفى بعض المرات بعد تناوله لطعامه .. شعر بدوار لعدة ساعات ..

وكثيرًا ما أحس بصداع شديد .. وارتعاش جسده من الحمى ..

كانت مدينة الأشباح تفعل ما بوسعها .. والباقى كان منوطًا به ..

ولكنه لم يستطع أن يتكيف مع طعام قريب مما اعتاده فوق كوكب الأرض ..

وقع (ناجى) فريسة لمرض شديد ليومين متتاليين ..

حتى إنه لم يستطع أن يجر نفسه إلى أحد أحواض الطعام ..

وظل ممددًا على الأرضية المرمرية ساعة وراء أخرى ..

وفى الليلة الثانية أحس بالألم يزداد فى جسده ..

لدرجة أنه توصل إلى قرار ما ..

وحدّث نفسه قائلاً :

ـ إذا أمكننى الوصول إلى الأريكة .. فإن الحرارة فقط سوف تقتلنى ..

وستعوض المدينة بعض ما فقدته من ماء .. بامتصاصه من جسمى !

قضى ساعة على الأقل .. يزحف فى معاناة ليصعد على أقرب أريكة ..

وعندما نجح أخيرًا فى ذلك .. تمدد كرجل ميت عليها ..

وآخر فكرة طرأت على ذهنه كانت :

ـ أيها الأحباب .. إننى قادم إليكم !

زادت شدة الهلوسة التى يعانيها .. وتخيل فى لحظة واحدة أنه عاد إلى غرفة التحكم فى سفينة الفضاء .. ومن حوله رفاقه السابقون ..

أصدر (ناجى) تنهيدة تنم عن الراحة .. وغرق فى نوم عميق .. بلا أحلام !

★ ★ ★

استيقظ على صوت آلة كمان .. كانت موسيقى عذبة .. حزينة ..

تحكى عن تقدم وانهيار كائنات .. عاشت منذ زمن بعيد .. ثم اختفت من الوجود !

أنصت (ناجى) للنغمات الرقيقة لعدة دقائق ..

ثم أدرك بسرعة حقيقة الموقف ..

كان ذلك بديلاً للصفير الحاد المزعج ..

لقد كيفت المدينة موسيقاها .. وعدّلتها .. بحيث تناسبه وتتلاءم معه !

ثم طغت عليه ظاهرة حسية أخرى ..

إذ شعر بالأريكة المرمرية دافئة .. ومريحة .. وليست ساخنة على الإطلاق ، كما أحس براحة جسده وعافيته من الناحية الجسمانية ..

فزحف بشوق من فوق منحدر الأريكة إلى أقرب حوض طعام ..

وبينما كان يزحف إلى الأمام .. وأنفه قريبًا من الأرضية المرمرية ..

امتلأ الحوض بخليط من الطعام الساخن .. كانت رائحته لذيذة ..

لدرجة أنه غمس وجهه فيه .. وازدرده بنهم عن آخره ..

كانت له نكهة الحساء الدسم المحتوى على اللحم .. وبدا دافئًا ومريحًا لشفتيه وفمه ..

وعندما أتى على الطعام كله ..

ولأول مرة .. لم يشعر بحاجة إلى الماء !

حدّث (ناجى) نفسه قائلاً :

ـ لقد نجحت ! ووجدت المدينة طريقة ما .. لكى نتكيف معًا !

وبعد فترة تذكر شيئًا ما .. فزحف إلى الحمام ..

راقب السقف بحذر ثم أدخل نفسه بهدوء إلى الخلف .. داخل حوض الحمام ..

وهطل الرذاذ الأصفر البارد والجميل إلى أسفل ..

وفى نشوة بالغة .. لوى (ناجى) ذيله الضخم البالغ طوله مترين ..

ورفع خرطومه الطويل .. ذا الحراشف ليمسح رذاذ السائل المنساب .. بإزالة بقايا الطعام العالقة بأسنانه الحادة ..

ثم مشى بتؤدة خارجًا لكى يستمتع بالشمس الدافئة ..

والصحراء الرائعة ..

وينصت إلى الموسيقى الأبدية ..

وأحس بسعادة .. إذ إنه انتصر .. وجعل المدينة تخضع له !

★ ★ ★

سلسلة **نوفا** للخيال العلمىَ

الكمبيوتر .. يحكم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٢١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢

منتصف القرن الحادى والعشرين ..
كان (تامر) ممددًا فى غرفة مجوفة ..
جدرانها السميكة من الرصاص ..
داخل نعش زجاجى .. مقوى بالألياف الكربونية ..
على عمق عشرين مترًا تحت سطح الأرض المتجمدة ..
وأغلقت عيناه فى ظلام الليل الدامس .. والسكون التام ..
الدكتور (تامر) أستاذ فى أحد أشهر جامعات العالم ..
مؤرخ يسعى للمعرفة العلمية ..
وقد وافق على إجراء هذه التجربة لتجميد جسده ..
ثم إيقاظه ..
ليتعرف الحياة بعد أربعمائة عام !
بعد عدة أيام .. كان قلبه ينبض ببطء ، وصدره يرتفع ..
ويهبط فى هدوء ..
وقبل انقضاء أسبوع كامل ..
توقفت دلائل الحياة هذه .. فى الجسد الساكن ..
كانت ساعته تعمل بالراديوم ..
بينما أجهزة أخرى تحقق البرودة اللازمة لحفظ جسده ..
عَبْر مئات السنين فى المستقبل ..
بوساطة النيتروجين السائل فى درجة حرارة ١٩٦ مئوية
تحت الصفر ..

وكان السقف مبطنًا ببطارية ضخمة تعمل بمادة السلنيوم ..
ولمبات قوية تصدر أشعة إكس .. والأشعة فوق البنفسجية ..
وهى تعمل بمحرك يستمد طاقته من الاندماج النووى ..
يدور باستمرار ..
وفوق نعشه الشفاف كان يوجد وعاء زجاجى ممتلئ بالطعام
والشراب ..
وتمتد من الجدران إلى الأرضية .. أنبوبة مطاطية صناعية
مقواة بالألياف الزجاجية .. لتوصيل غاز الأكسوجين .. ويمكن
تركيبها فى قناع فوق وجهه .. عندما يخلد إلى النوم .. فى
رحلته الطويلة عبر نفق الزمن ..
وبمجرد استيقاظه كان عليه أن يبتلع الطعام والشراب ..
الذى سوف ينزل تلقائيًا .. لعدة ساعات بعد إضاءة الأنوار ..
وبدء التدفئة الصناعية ..
للعودة إلى الحياة !

- ١ -

كان منظرًا رائعًا .. وغريبًا !
ارتفعت أشجار جوز الهند الضخمة .. إلى ارتفاع شاهق فى
الشمال ..
وفى الغرب امتدت أشجار الكروم بأوراقها الخضراء اللامعة ..
والتى بدت حمراء فى الشمس الغاربة لمنتصف الصيف ..

أما فى كل اتجاه حول ذلك ..
فلم يكن هناك سوى الصحراء الموحشة !
ولا أثر لأى مستوطنات ..
أو لمسة بشرية تلحظ خلال الشجيرات القصيرة .. فى أى اتجاه ..
وكان هذا غريبًا ..
إذ إن هذه المنطقة كانت ذات مرة على الخريطة ..
ضاحية من مدينة هائلة .. تضج بالحياة !
ثم حدث أمر عجيب !
إذ أظهرت الأرض الصلبة ..
منطقة رطبة أسفل غطاء أوراق الأشجار الذابلة ..
وانكشفت فتحة تنهمر منها أشعة الشمس إلى الداخل ..
وظهر تحت الأرض .. كتلة من الشعر الأشيب !
ارتفعت فى بطء مثلما يدفع النبات ساقه إلى أعلى ..
مخترقًا سطح الأرض .. فى فصل الربيع ..
وساحبًا معه بعض الطين والأوراق الملتصقة به ..
ورائحة مميزة .. منعشة من تحت التربة ..
لكن ذلك لم يكن نباتًا !
فالشعر الأبيض ينتمى لرأس .. وجسد رجل فى منتصف العمر ..

وكان ذلك مخالفًا تمامًا لأى منطق سليم ..
أو سلوك مقبول ..
لدرجة أن أحد الأرانب البرية الضخمة ..
توقف لبرهة .. وتعجب لما يحدث ..
وسرعان ما انطلق إلى أجزاء أخرى من الغابة ..
أكثر أمنًا .. ومعقولية !
وفى صمت قاتل ..
نفض الرجل أوراق الأشجار .. والتراب .. والوحل عن جسمه ..
بحركة بطيئة .. وضعيفة للغاية ..
ووقف ينظر حوله فى دهشة .. وحيرة ..
كان النصف الأسفل من وجهه ..
مغطى بشعر لحية غير منتظم النمو ..
لكن فمه بدا سليمًا وحساسًا ..
بينما امتد أنفه الدقيق .. الأرستقراطى ..
وكانت يداه رفيعتين .. وهزيلتين تمامًا ..
ولهما أصابع ذات أظفار طويلة ..
ملطخة بالوحل ..
ونامية من أصابع رقيقة .. مستدقة ..
كان الرجل مرتديًا سترة جلدية .. سوداء ..
و(بنطلونًا) حريريًا ثقيلاً لونه أخضر داكن ..

ينتهى بكسوة جلدية للساقين ..
وبرغم اللطخ الطينية ..
كان الرجل أنيقًا فى مظهره ..
وبدا فى ذلك الكثير من التناقض ..
لأن وجهه كان متغضنًا .. وجسمه هزيلاً !

★ ★ ★

تقدم (تامر) بخطوات مضطربة ..
إلى صخرة مغطاة بطحالب رمادية اللون ..
وجلس عليها وهو لا يزال يحدق فيما حوله ..
مندهشًا من كل ما يراه ..
وتحركت شفتاه الرقيقتان ببطء ..
وانطلقت منهما همسات يصعب سماعها :
ـ كل شىء انتهى ! مرت أربعمائة عام ! ولا يوجد سوى برية مقفرة !
رجعت أفكاره إلى الآلام والعذاب ..
التى اقترنت بتجميد جسده ..
يالها من رحلة رهيبة لا تصدق !
تحركت يده عدة سنتيمترات ..
وزحفت أصابعه .. ساحبة معها ذراعه العاجزة وراءها ..
وتذكر كيف استيقظ من نومه الطويل ..

الانطلاق المبرمج للأشعة فوق البنفسجية ..
وارتفاع درجة الحرارة ببطء .. وفتح كوة فى نعشه الزجاجى ..
ورؤية الضباب الأحمر القانى ..
وارتعاد كل جزء من جسمه بإصرار .. ومعاناة هائلة ..
لجهد تدفعه الإرادة .. يفوق أى تصور !
وعندما عادت إليه حواسه بشكل ضعيف ..
شعر بأن المعجزة قد اكتملت !
لفة بسيطة لسدادة قارورة فوق رأسه ..
سمحت لبعض قطرات من سائل مقوّ ..
بالدخول فى فمه المفتوح ..
ونزل فى حلقه ما يكفى منها ..
ليبقى على قيد الحياة !
وهذا السائل أعده صديقه عالم الأحياء ..
منذ أربعمائة سنة مضت ..
فى المختبر الكبير بمنتصف المدينة ..
استجابة لاحتياجه هذا بالذات !

★ ★ ★

مكث (تامر) يومًا كاملاً ..
يستعيد فيه قواه ..
ويسيطر على قلقه ..

ونفاد صبره لرؤية التغيرات التى حدثت طوال هذه السنين ..
ثم أخرج ملابس جديدة من غرفة التجميد ..
التى حفظتها من المصير الذى لقيته ملابسه الممزقة ..
وترك الغرفة المبطنة بالرصاص على عمق عشرين مترًا تحت الأرض ..
لكى يمتع عينيه برؤية عالم لاشك أنه تحول .. وتغير جدًا ..
فى غضون فترة أربعة قرون !
أخذ طريقه بحماس شديد .. إلى أعلى النفق ..
ذى الجدران الصخرية ..
وهو يكشط ويحفر ويدفع الأتربة المتراكمة ..
وأدرك (تامر) أن رحلته فى الزمن قد انتهت ..
وارتعد جسده .. عندما فكر فى التابوت الزجاجى ..
باللمعجزة التى جعلته سليمًا ..
ولم يتلف عبر مئات السنين ..
قبل أن يحقق الهدف منه !
وفجأة بدأ جسده المحنىَ .. يستقيم ..
وارتفع رأسه إلى أعلى ..
وقال لغابة الأشجار الساكنة بصوت عال :
- هذه الرقعة من الأرض ذات الأشجار .. والصحراء التى خلفها .. ليست هى كل العالم ! سوف أبحث وراء الأفق !

كان صوته منخفض النبرات ..
لكن رفيع النغمة ..
وبدا أن (تامر) يجرب أعضاءه الصوتية ..
لا أن يوجه الخطاب لأحد ..
لكن كلماته أيقظت من جديد ..
كل الأصوات القليلة التى فى الغابة ..
السناجب .. والقرود .. والطيور ..
التى أخذت تطلق أصواتًا صاخبة ..
كما لو كانت تعترض على هذا الشبح .. الذى خرج من تحت الأرض !

أرهف (تامر) أذنيه لسماع الأصوات الصديقة .. الرفيقة فى وحدته .. وابتسم وهو يشق طريقه وسط الأشجار .. متجهًا إلى الشرق ..

كان يبحث عن شىء ما ..

والآن عثر عليه !

طريق رئيسىّ واسع من الزجاج الأخضر الداكن ..

يمتد شمالاً وجنوبًا إلى آخر ما يمكن للعين رؤيته ..

ولكن كان هناك مظهر موحش فيما يراه ..

فعلى طول الحواف .. تراكمت مخلفات القرون ..

أغصان ساقطة .. خطوط من الرمال .. نفايات من أوراق الأشجار ..

داس بقدميه باحتراس فوق الطريق ..

ثم دهش لمتانته ..

وبعد عدة دقائق أحس بالوحشة .. وسط العالم الخالى من حوله ..

فاتجه شمالاً ..

وبعد ساعة من السير البطىء ..

وصل إلى شق كبير فى الطريق الرئيسى ..

تحطم جزء من الطريق بعده .. لمئات الأمتار !

تهالك (تامر) تمامًا .. كما لو كان قد تعرض لهزة أرضية ..

وبحث حوله فى يأس عن أى علامات أو آثار لوجود بشر ..

لكن دون جدوى ..

ولم ير حوله على جانبى الطريق الزجاجى المرصوف ..

سوى الخواء .. والعدم !

★ ★ ★

الهواء المنعش .. والحركة .. جعلت دمه الراكد يجرى فى شرايينه بقوة ..

كما توردت وجنتاه الشاحبتان بلون أحمر خفيف ..

جلس ليريح عضلاته المجهدة ..

وليمضغ حبة صغيرة من الطعام المتبلور .. أخذها من جيبه ..

وتساءل فى نفسه :

ـ تُرى ماذا أفعل الآن ؟

كان لديه من حبوب التغذية ما يكفيه لعدة أيام ..

وكذلك بعض الأدوات البسيطة فى حزامه ..

وفكر فى أن يستقر فى هذا المكان ..

ويبنى لنفسه كوخًا .. ويجمع جوز الهند والفاكهة من الغابة ..

ويصيد بعض الأرانب البرية .. لتناول لحمها !

لكنه هز رأسه فى تصميم ..

وقال بصوت هامس :

ـ لابد من وجود بشر فى هذا العالم الجديد .. ولابد أن أعثر عليهم !

ثم واصل سيره فى حزن وأسى ..

واختار الاستمرار فى الاتجاه إلى الشمال ..
ولم ير سفينة الفضاء التى مرت فى صمت فوقه ..
واختفت فوق قمم الأشجار إلى اليمين ..
دون أى أثر ..
لكن سفينة الفضاء رأته !
ومرقت بسرعة إلى أحد الأجناب ..
ولفت من ورائه .. بحيث لا ينبئه خيالها .. باقترابها منه ..
استمرت لمسافة مئة متر إلى أعلى ..
فى صمت كالبومة ..
ثم انقضت إلى أسفل نحو (تامر) ..
كصقر جارح !

ـ ٢ ـ

أصيب (تامر) بصدمة هائلة ..
إذ هبطت من الفضاء شبكة ضخمة من حبل حريرى متين ..
واستقرت فوقه ..
ثم سحبت من سطح الأرض ..
ورفع (تامر) عاليًا فى الهواء ..
فى فترة لا تتعدى عدة ثوان !
وخلال برهة خاطفة .. رأى العالم تحته مقلوبًا ..
بينما هو معلق بين السماء .. والأرض ..

ويتأرجح فى كل اتجاه !
وفجأة .. شعر بقوة ما تجذبه بسرعة إلى أعلى ..
وتدخله من فجوة فى بطن سفينة الفضاء ..
ولم تلبث أن أغلقت بقوة خلفه !

★ ★ ★

رقد (تامر) ممددًا على أرضية الكابينة ..
بالقرب من مؤخرة سفينة الفضاء ..
حيث وقف على بعد عدة أمتار منه ..
شبح يرتدى رداء قرمزى اللون ..
موشى بأشكال متلألئة من الذهب ..
وتألق شعر طويل كستنائى فاتح ..
وبدا الوجه شاحبًا .. ولكنه يتمتع بجمال أخاذ ..
وجسم رشيق .. طويل القامة ..
وأدرك (تامر) أنها امرأة رائعة الجمال !
صعقته المفاجأة .. حتى إنه لم يبذل أى محاولة للهرب ..
من شبكة آسرته ..
وبعد أن راقبته المرأة للحظات ..
بعينيها الحادتين .. المتلهفتين .. الفاتنتين ..
شدت حبلاً ما ..
فشعر بأن الشبكة تنفك من حوله ..

وبعد بضع لحظات .. وقف مترنحًا على قدميه الضعيفتين ..
وخطا خطوة مترددة إلى الأمام .
لمست يده الممدودة الهواء الخالى ..
وهذا ما قالته له عيناه ..
لكنه بدا قويًا وصلبًا كالزجاج !
أصابته الدهشة البالغة ..
وحاول مرة أخرى .. فى إصرار ..
وهنا انفرجت شفتا المرأة الفاتنة .. عن ابتسامة رقيقة ..
وقالت :
ـ ألم تر من قبل الشعاع الحاجز .. أيها البرىَ !
بدت الكلمات فى البداية غير واضحة المعالم ..
بهذه اللكنة الغامضة .. الغريبة ..
لأن اللغة لابد أنها تغيرت قليلاً .. خلال أربعة قرون !
وبعد عدة ثوان .. بدأت المقاطع تترابط ببعضها .. فى ذهنه ..
قال فى حيرة :
ـ ماذا تريدين منى ؟ وإلى أين تأخذيننى ؟
تألقت العينان الذهبيتان الواسعتان وهى تقول :
ـ وما الذى نريد دائمًا منكم أيها البرَيون ؟
أجاب فى تردد :
ـ لا أفهم ما الذى تقصدينه !

ابتسمت مرة أخرى قائلة :
ـ هراء ! لا شك أنك سمعت أننا نصطادكم منذ مئات السنين ..
ولابد أنك تعرف ما الذى سوف نفعله بك ! لقد كنت سهلاً جدًا أيها البرىَ !
تريثت لبرهة ثم أردفت وهى تحدق فى وجهه :
ـ ... ترى ما الذى أغراك بالسير .. وسط الطريق الرئيسى الواسع ؟ ألم تعرف أننا سوف نقبض عليك ؟
فكر (تامر) للحظة ..
برىَ !
معنى هذا .. أنهم يعتقدون أنه رجل يعيش فى الغابات هنا !
وتساءل فى نفسه :
ـ لكن لماذا يصطادون أولئك الرجال ؟
ابتسم فى ود وقال :
ـ لماذا أخشى أن يقبض علىَ ؟ إننى لم أرتكب أية جريمة !
ردت فى حدة :
ـ جريمة ! أنت لا تعيش فى المدينة وتنفذ قوانين الحضارة ! إنك لست سوى ...
صمتت للحظة ثم استطردت قائلة :
ـ .. وبالمناسبة .. إلى أين كنت تسير ؟
أجابها بسرعة :

ـ بالطبع كنت أبحث عن أقرب مدينة ..

نظرات إلى لحيته الشعثاء بارتياب ..

واستدارت إلى أجهزة التحكم فى سفينة الفضاء ..

وضغطت على زرّ أحمر ..

ثم التفتت إلى (تامر) وقالت :

ـ إنك تبدو هادئًا نسبيًا ! لقد كان لدىّ من قبل بريين ! كادوا أن يحطموا الكابينة ! لكن بالطبع إذا كنت تبحث عن مدينة .. فلا يوجد أفضل من المدينة الرئيسية التى نحن ذاهبان إليها الآن .

تريثت لبرهة ثم أضافت قائلة وهى ترمق العدادات الإلكترونية أمامها :

ـ .. عادة تقابلنا صعوبات فى أثناء تحويلكم إلى المدنية .. والحضارة ! لقد فصلت الآن الشعاع الحاجز .. ويمكنك أن تتقدم بجانبى هنا إذا أردت ! لكن لا تلمس أى شىء !

تحير عقله من الأسرار الخفية ..

التى تكشّف بعضها حتى الآن !

★ ★ ★

جلس (تامر) مستريحًا ..

ينظر إلى كيلومترات طويلة من الغابة التى بأسفل ..

بينما مرقت سفينة الفضاء فى اتجاه الشمال ..

قدمت له المرأة نفسها باسم (فاليا) ..

وبدا أنها إنسانة لطيفة .. ورقيقة .. بجانب جمالها الأخّاذ ..

وكانت تقضى وقتًا قليلاً جدًا .. فى توجيه سفينة الفضاء ..

ولم تبد اهتمامًا كبيرًا بأذرع .. ووسائل التحكم التى أمامها ..

مما دفعه لسؤالها عن طريقهما .. أجابته باختصار :

ـ سوف نذهب إلى (العقل) الذى سيوجهنا !

تساءل فى دهشة :

ـ (العقل) !

حدقت فيه (فاليا) للحظة ثم ابتسمت وقالت :

ـ من المؤكد أنك تعرف .. لكن هذا غريب حقًا ! ألم تسمع قط عن (العقل) ؟

أجاب صادقًا :

ـ كلا !

قالت وهى ترفع حاجبيها :

ـ لكنه ساد العالم كله فى القرون الثلاثة الماضية ! هل الأخبار تنتقل ببطء شديد فى الغابة ؟

هز رأسه قائلاً :

ـ إننى لا أتلقى الكثير من الأخبار .. فأنا أعيش بمفردى كما رأيت .. حدثينى عنه !

ابتسمت وهى تقول :

ـ لن يصدقنى أحد عندما أقول لهم ذلك ! (العقل) هو آلة كمبيوتر متطورة تعمل بالرقاقات البيولوجية .. وبسرعة الضوء .. إنه لا يخطئ أبدًا .. ولا ينحاز إلى أى جانب .. ويحقق العدالة دائمًا فى قراراته .. وحكومة حضارتنا هى المسئولة عنه .. وبتوجيهه ومساعدته لنا .. أمكننا اختصار ساعات عمل الإنسان إلى ساعة واحدة أسبوعيًا !

صمتت للحظة ثم أضافت :

ـ .. فكر فى هذا أيها البرىّ ! أنت حر فى أن تعيش فى مدينتنا .. وتتمتع بكل وسائل الراحة والمتعة بها .. والتى سوف تجد منها ما لا يمكن أن تتخيله ! وكل ذلك مقابل عمل سهل لمدة ساعة واحدة فى الأسبوع !

عادت ابتسامة (فاليا) المشرقة .. تتألق فوق وجهها الفاتن وهى تردف قائلة :

ـ ... أعرف أنك سوف تقول : إن هناك مدنا أخرى ! لكن مدينتنا هى مكان الإقامة الفعلية (للعقل) .. والمدن الأخرى المنتشرة فى كافة أنحاء العالم .. ليست سوى محطات طرفية يسيطر عليها (العقل) ! ولاشك أنك تريد أن تعيش فى مركز العالم المتحضر !

تساءل (تامر) فى نفسه :

ـ تُرى ماهو هدف هذه الفاتنة ؟

هذا مالم يعرفه .. أو يمكنه تصوره !

لكنه كان متأكدًا من شيء واحد ..

أنه قد أسر ويتم الآن إقناعه بأن يعيش فى مدينة معينة !

وقرر ألا يقول أى شيء عن أموره الخاصة .. وعالمه الماضى ..

منذ أربعة قرون .. حتى يسمع المزيد من (فاليا) ..

سألها :

ـ أين توجد مدينتك ؟

أجابت بسرعة :

ـ بعد نصف ساعة .. إلى الشمال ..

قال (تامر) بعد عدة دقائق :

ـ لكن هذا (العقل) .. هل تطيعينه سواء أعجبتك قراراته أم لا ؟

لاحظ أنها نظرت بسرعة تجاه سقف سفينة الفضاء ..

حيث برز صندوق أسود صغير .. به عدسة شفافة !

أجابته رفيقته بصوت بدت فيه رعشة خفيفة :

ـ بالطبع ! (العقل) لا يمكن أن يخطئ ! ومن الذى يريد أن يعمل الشيء المخالف للصواب ؟

ألح (تامر) فى أسئلته ..

ووجد أن (فاليا) تتجنب بكل طريقة .. مناقشة هذا الجانب من حياتهم .

فحوّل إهتمامه إلى المناظر الطبيعية الممتدة أمام بصره بأسفل ..

والآن لمح علامة بيضاء .. موضوعة فى نهاية الأرض الخضراء ..

وعندما اقتربا منها ..

اتضح أنها عبارة عن جدار ضخم يبلغ ارتفاعه نحو ثلاثين مترًا ..

ويحيط بالمدينة التى يقصدونها !

ثم شاهد المدينة ..

كان يمتد فوقها قبة هائلة من الزجاج الشفاف .. كالفقاعة ..

وأمكن له تمييز مبان وطرق داخلها !

★ ★ ★

هبطت سفينة الفضاء تدريجيًا ..

بجوار جدار المدينة ..

تركته (فاليا) للحظات .. ثم عادت ومعها رجل قصير القامة ..

يرتدى ملابس حريرية حمراء وخضراء ..

وقالت لـ (تامر) :

ـ هذا هو المشرف (كونرَ) .. وسوف يريك مدينتنا .. ولا شك أنه سيدعوك للانضمام إلينا هنا .. إذا أردت !

ثم استدارت بابتسامتها الساحرة .. وشعرها الطويل المتألق ..
متجهة إلى سفينتها الفضائية ..
بينما سار (تامر) على قدميه مع الدليل الجديد ..
وهو رجل شاحب نحيل .. ذو نظرات غامضة ..
لم يرتح إليه من أول نظرة !
انطلقا حتى البوابة الضخمة .. فى ضوء الشمس الساطعة ..
حيث حدق فيه بشكل عجيب ..
رجلان .. حارسان .. بملابس رسمية ..
سوداء موشاة بالفضة ..
وهما يجذبان ذراعًا من الصلب ..
انفتح الباب .. ودخلا إلى المدينة !
قال (تامر) فى دهشة :
ـ ماهذه البرودة ؟
أجاب الرجل القصير فى سخرية :
بالطبع أيها البرىّ ! إننا نتحكم فى الطقس هنا .. وهذه القبة الزجاجية لحمايتنا من الأشعة فوق البنفسجية التى تزايدت بسبب ثقب الأوزون .. والجو كله منقى من التلوث !
سارا فى طريق يتجه إلى مركز المدينة ..
ويحيط به من الجانبين مبان لمصانع وورش ومختبرات ..
وكلها مصنوعة من الزجاج الشفاف ..

وداخلها شاهد (تامر) مناظر تشبه أحلام المهندسين ..
آلات وأجهزة ضخمة تعمل كلها تلقائيًا ..
اختراعات .. وتعديلات غريبة .. تعمل بالتحكم الآلى..
وأشعة الليزر ..
هنا كانت توجد مادة تكفى لإشباع روحه المؤرخة ..
وكل نوع من الحضارة المتطورة .. التى تخيلها علماء المستقبل ..
قديمًا فى القرن الحادى والعشرين !
مشهد خلاب .. من الغرائب .. والكمال فى صنع وابتكار آلات حديثة !

★ ★ ★

انتهى الطريق .. بآخر يمتلئ بالأشجار ..
يتقاطع معه .. وينحنى مبتعدًا عن المشهد ..
والواضح أنه يحيط بالمدينة ..
وأمكنه أن يرى القليل من الرجال ..
الذين كانوا فى عجلة من أمرهم ..
وكانت هناك ممرات متحركة بثلاث سرعات ..
فى كلا الاتجاهين ..
وممر ثابت يحيط بها من الجانبين ..
وعلى كل جانب ارتفعت مجموعات من المبانى الضخمة ..

التى تنتهى من أعلى .. بأبراج رائعة من المعدن .. والزجاج اللامع ..

وانسابت أشعة الشمس داخلها ..

وتلألأت على السطح ..

وشاهد (تامر) سفينة فضاء تمر أعلى الأبراج ..

تساءل :

ـ أين يوجد العاملون ؟

أجابه (كونتر) :

فى حجرات عملهم بالطبع .. سوف أريك ذلك !

ثم تقدمه إلى داخل أحد المبانى الشفافة ..

وسارا معًا فى ممر طويل ..

كانت الجدران كلها من الزجاج ..

وعندما نظر (تامر) من خلالها ..

رأى مجهود هؤلاء الناس .. من القرن الخامس والعشرين !

جلس كل شخص على أريكة ناعمة من الحرير ..

أو تمدد فوقها ..

وكان بعضهم نائمًا .. والبعض الآخر متكئًا على الحاجز ..

يتحدث أو يمارس لعبة ما .. على لوحة مع جيرانه ..

كانت ملابسهم ثمينة .. ومن قماش رقيق ..

أما صورتهم كرجال يعملون .. فإنها اختلفت تمامًا عن كل أفكار (تامر) السابقة !

قال (كونتر) :

ـ هؤلاء الرجال يؤدون أعمالاً !

وعندما رفع (تامر) حاجبيه .. واصل (كونتر) حديثه قائلاً :

ـ .. يخصص كل منهم نحو عشر دقائق يوميًا لوظيفته ..

وفى خلال هذا الوقت .. لا يترك حجرات العمل ! وبعد ذلك تأتى خمسة أسابيع من الراحة والترفيه ..

وعادة يتم ذلك فى قصور السعادة .. التى سوف أريك إياها فيما بعد !

تساءل (تامر) فى دهشة :

ـ لكن ماهو العمل الذى يقومون به ؟

أشار (كونتر) بيده وهو يقول :

ـ انظر إلى الشابة الموجودة هناك ! لقد أنهت استرخاءها .. وبدأت فى تولى أعباء لوحة التوزيع .. إنها توزع متوسطات للمخازن الاحتياطية ! وهذا الرجل العجوز يقارن بين الأوامر الصادرة إلى خزانات حفظ الأعمال .. ويوجهها خلال الآلات التى تعمل تلقائيًا .. وكما ترى فإن معظم العمل خفيف جدًا وطبيعته تناسب الجميع ! لكن هناك بعض العمل الشاق .. مثل تصميم الآلات وما شابه ذلك .. تحت توجيه (العقل) .. الذى لا يقوم به .. إلا أفضل من لدينا درجة !

★ ★ ★

اتضح أن قصور السعادة .. عبارة عن خليط من فنادق الاستجمام ..

والنوادى الرياضية .. وحمامات البخار والسونا .. والتدليك !

قال (تامر) فى نفسه :

ـ إن هذا جميل جدًا فى المرة الواحدة ! لكن أن يتم يوما بعد آخر طوال خمسة أسابيع .. فهذا هو الأمر الغريب !

لم يلتفت كثيرًا إلى الأشياء التى شاهدها ..

فالآلات تسيطر على الحياة تمامًا .. ولا مكان للإبداع الإنسانى !

إنها مدينة بلا قلب ! سارا إلى قاعة واسعة ..

خطرت لـ (تامر) فكرة فقال للمشرف :

ـ لكن أين الرجال ذوو العقول الجبارة .. العلماء والمخططين ؟

حدّق فيه (كونتر) بغطرسة وقال :

ـ هذه مدينة (العقل) ! فكيف يأمل الرجال العاديون أن يتفوقوا عليه فى العمل ؟!

إنه لا يخطئ قط .. كما أننا نمتلئ بالضعف البشرى .. ونواحى النقص !

رد عليه (تامر) مؤكدًا :

ـ إننى لا أحب أن أعيش هنا !

قال (كونتر) بلا مبالاة :

ـ أنت وشأنك فى هذا .. نحن يسعدنا بالطبع أن تنضم إلينا ! ولكن .. هذا هو طريق الخروج .. من هناك .. لا يمكن أن تضل عنه ..

ثم استدار على عقبيه ..

وسار مبتعدًا بسرعة ..

ولم ينظر وراءه !

ـ ٣ ـ

بدا الطريق بالنسبة لـ (تامر) خاطئًا تمامًا !

وأخذ يسير فى الممر ..

ولكنه لم يقطع أكثر من عشرين مترًا ..

عندما انفتح باب ثابت فى الجدار .. فتحة ضيقة ..

وبرز أصبع أبيض ناحيته !

وقف مترددًا وحدق فى الفتحة المظلمة ..

لكنه لم ير شيئًا بخلاف هذه اليد الممتدة إليه ..

خطا تجاه الباب .. فانفتح أكثر أمامه ..

ليكشف عن رجل يرتدى ملابس حريرية زرقاء ..

وضع أصابعه فوق أذنيه ..

وأصدر من شفتيه صوتًا هادئًا ..

وهى إشارة غريبة ! فهم منها (تامر) أنها تعنى السرية !

قال الرجل بصوت هامس :

ـ أنت الرجل البرئ الذى حضر هنا اليوم ! حسن ! إننى أرى أن حياتنا هنا لم ترق لك ! وهذا يساعدنى على أن أثق بك .. هناك آخرون لا يحبونها أيضًا !

تريث الرجل لحظة .. وهو يتلفت حوله ، ثم أضاف قائلاً :

ـ ... إذا أنقذت حياتك .. هل تساعدنا على تغيير حياتنا ؟

ارتبك (تامر) وقال :

ـ لا أعرف ماذا تقصد ؟ إذا أنقذت حياتى أعتقد أننى سوف أكون ممتنًا لك .. وأرد لك الجميل ! إذا أمكننى ذلك !

قال الرجل بسرعة :

ـ حسن ... إذن سأنقذ حياتك ! والآن ! استدر واركض راجعًا إلى المشرف (كونتر) .. وأخبره أنك قد غيرت رأيك .. وأنك تريد إجازة واحدة على الأقل فى قصر السعادة .. هيا وأسرع !

تردد (تامر) للحظة ثم قال :

ـ لكننى لم أغير رأيى بعد !

همس الرجل فى حدة :

ـ أيها البرئ ! إننى أنقذ حياتك .. وأجازف بحياتى بأن أقول لك هذا ! هل تظن أن نهاية هذا الممر تفضى بك راجعًا إلى الغابة التى جئت منها ؟ هل تعتقد أن (العقل) يسمح لأى شخص بالهروب من هذا المكان ؟ الموت هو الذى ينتظرك فى نهاية الممر !

وفجأة وجد (تامر) نفسه يطرد إلى الخارج ..

والباب يغلق بهدوء خلفه ..

وكان قد شاهد فى وجه الرجل ..

الحقيقة .. والإصرار .. والقوة ..

فأسرع بالرجوع من نفس الطريق الذى جاء منه ..

عاد إلى القاعة الواسعة .. لكن (كونتر) لم يكن هناك ..

ولكنه اطمأن عندما رآه فى النهاية الأخرى للمر ..

وبعد عدة دقائق .. لحق به .. وأمسك بملابسه وهو يلهث ..

ارتاب المشرف فى البداية ..
فى مثل هذا التحول المفاجئ !
وعبّر (تامر) عن رغبته الكاذبة ..
فى السعادة .. والمتعة ..
حتى نجح فى خداع نفسه ذاتها !
لكنه تمكن من تهدئة شكوك (كونتر) الذى ارتسمت على وجهه ..
ابتسامة سرور .. غريبة !

★ ★ ★

وبعد ساعة وجد (تامر) نفسه فى حجرة صغيرة .. خاصة به ..
ومعه مدربة شقراء بارعة الجمال ..
وهى تريه كيف يتحرك بالطعام ..
من المصانع الآلية التى تعمل بالكامل بالروبوتات ..
إلى مراكز التوزيع ..
وخلال عشر دقائق .. كان العمل واضحًا تمامًا ..
ثم جلس (تامر) ساعتين يراقب لوحة التحكم ..
وقضى نحو ثلاث دقائق منها ..
يصحح خطأ ما فى التوجيه .. أو الإرسال ..
أما بقية الوقت فلم يكن لديه أى عمل يقوم به ..

وأخيرًا دق الجرس !
ولاحظ (تامر) من خلال الحواجز الزجاجية .. التى تفصل بين الحجرات ..
أن جيرانه ضغطوا على أزرار مختلفة ..
مثبتة فى لوحة فضية على الجدار ..
أشار إلى الرجل فى الحجرة المجاورة .. فأنزل الزجاج الفاصل بينهما ..
سأله (تامر) :
ـ ما الذى يفعله كل شخص هنا ؟
أجابه الرجل بابتسامة قائلاً :
ـ الطعام .. أيها البرىَ ! إنك تطلب ما تريد أن تأكله ! هل أطلب لك الطعام هذه المرة الأولى ؟
ثم انحنى بسرور على الحاجز ..
وبعد دقيقة واحدة ..
انزاح اللوح الزجاجى إلى جانب ..
وظهرت مجموعة من الأرفف المنزلقة ..
وعليها طعام وعصائر ..
وكان أمام (تامر) ثلاثة أطباق ليختار واحدًا منها ..
ووجد أحدها يمتلئ بالتوابل الحارة ..
والآخرين خاليين من أى طعم أو نكهة ..

لكنه كان جائعًا .. والتهم كل الطعام تقريبًا ..
وشرب معظم العصائر ..
وبعد دقائق شعر بالنعاس ..
ولمح جاره يثبت معصمه فى سوار ذهبى عريض ..
ثم يلقى بجسده فى ارتياح إلى الخلف .. على أريكته ..
سأله :
ـ هل هذه فترة النوم ؟
قال الرجل :
ـ إن العامل يمكنه أن ينام فى أى وقت يشاء ! ولكن عليه أن يرتدى وسيلة اتصاله (بالعقل) إذا فعل ذلك !
ولاحظ (تامر) أن هناك سلكًا دقيقًا يصل السوار الذهبى .. بإصبع معدنى يدخل فى لوحة التحكم الرئيسية للحجرة ..
أردف الرجل قائلاً :
ـ ... عندما يحتاج إليك (العقل) .. توقظك صدمة كهربية خفيفة .. وربما لا يكون أمامك الآن شىء تعمله حتى صباح الغد .. لكن عندما تكون فى وردية عملك .. يجب أن تكون مستعدًا دائمًا !
شكره (تامر) وارتدى السوار الذهبى العريض .
وذهب فى الحال إلى نوم عميق .. تتخلله الأحلام الجميلة ..
استمر طوال يوم كامل !

إذ كان الوقت صباحًا .. عندما أيقظه ألم حاد شعر به ..
بحث حوله مشدوهًا للحظات ..
ولاحظ ضوءًا أحمر على لوحته ..
ثم تنبه جسمه كله من أثر الصدمة الكهربية ..
التى جعلته يقف على قدميه مسرعًا ..
أزال السوار الذهبى العريض من على معصمه ..
واستأنف واجبات عمله ..
كان العمل الروتينى يستغرق نحو عشر دقائق ..
وبمجرد انتهائه منه .. دق الجرس ..
ذهب (تامر) إلى لوحة الطعام ..
وضغط على كل زرٍ فيها ..
لأنه كان يتضور جوعًا !
لم يكن بوسع أى إنسان أن يلتهم كل هذا الطعام ..
لكنه ترك ما لم يأكله .. ليُزال مع الأطباق الأخرى ..
على الرف المنزلق !
أصبح ضجرًا تمامًا بهذه الحياة المملة ..
فلم يكن بوسعه أن يرى أى شىء خارج حجرته الصغيرة ..
فيما عدا جاريه اللذين على اليمين واليسار !

★ ★ ★

وذات يوم اكتشف لوحة جديدة ..
على الجدار أسفل الزجاج .. لم يكن قد شاهدها من قبل ..
سأل جاره الأيمن عن الهدف منها ..
فأجابه قائلاً :
ـ هذه لوحة التحكم فى سعادتك !
قال (تامر) فى حيرة :
ـ وما الذى تفعله ؟
رد الجار بسرعة :
ـ اضغط على الزر السفلى .. وانظر بنفسك !
فعل ذلك .. وعلى الفور .. أصبح الحيز البالغ أربعة أمتار على أحد الجانبين .. مغمورًا بالضوء .. وتصدر منه أصوات متعددة .. وبعد ثوان محيرة .. أدرك (تامر) أنه يشاهد مسرحية مجسمة .. وكان الأمر الغريب .. أنه شعر بنفسه داخل الأحداث !
سمع جاره الأيسر يدق على الحاجز الزجاجى ..
فقام بخفضه بوساطة تحريك أحد الأذرع ..
حذّره الرجل قائلاً ، وهو يومئ إلى اللوحة :
ـ الأفضل أن ترتدى وسائل الاتصال والتحكم الخاصة بك !
ارتدى (تامر) سوار المعصم الذهبى مرة أخرى ..
ولم يخلعه حتى فى أثناء قيامه بعمله ..

وبعد عشر دقائق .. وجد أن المسرحية غير مشوقة ..
لذلك ضغط على زرّ آخر ..
وشاهد على الشاشة المجسمة .. منظرًا متسعًا لدولة ما ..
كما لو كان داخل سفينة فضاء ..
ولاحظ المناطق الواسعة الممتدة من الغابة..
وحبس أنفاسه .. عندما ظهرت الأسوار البيضاء لمدينة كبيرة ..
ثم وجد نفسه فوق بحيرة هائلة ..
بعدها طار فوق جزر ساحرة .. موجودة فى بحار عميقة ..
كان السفر ممتعًا بهذه الطريقة الفريدة !
وبعد ذلك قضى معظم وقته .. يراقب الشاشة ..
بينما كان يسمع صوتًا يشرح المشاهد ..
ويسمّى المدن التى تمر على الشاشة المجسمة !

★ ★ ★

ولمدة أسبوع كامل .. أكل (تامر) ونام .. وأدى عمله البسيط .. أمام أجهزة التحكم ..
وتمتع بمحاضرات ومشاهد عن رحلات رائعة .. فى الزمان والمكان ..
كان ذلك نوعًا من الحياة .. المريحة .. الهانئة ..
وأخذ (تامر) يزداد قوة يومًا بعد يوم !
وتعلم الكثير عن هذه الحضارة خلال هذه المدة ..

كان (العقل) موضوعًا فى مبنى مهيب .. يطلق عليه (المعبد) .. بوسط المدينة ..

وقد نما هذا الكمبيوتر الفائق المتطور ..

وأصبح الآن يشغل نحو كيلو متر مربع ..

ببلايين من خلايا الذاكرة .. المكونة من الرقاقات البيولوجية ..

وسجلات أفكار من الذكاء الصناعى . ووحدات منطق .. ومفاتيح إلكترونية .. وأجزاء من موصلات فائقة .. وملايين الأطراف والشاشات .. إلى كل جزء فى العالم !

وهناك أجزاء أخرى .. كانت أساسياتها أعلى من مستوى فهمه ..

وكان هذا (العقل) يسيطر من مكانه هذا ..

على الكوكب بأكمله !

وكل مدينة فى العالم .. كان لها مركز اتصال ..

يلقى من خلالها هذا الكمبيوتر الفائق ..

بأوامره .. وسياساته .. وقراراته ..

كما يحدد مصير المدينة .. وقدرها !

★ ★ ★

وفى كل المدن كانت تختبئ فى الجدران والأسقف ..

ملايين من الأجهزة الدقيقة للملاحظة والكشف عن الأصوات ..

وأى تصرف مهما كان ضئيلاً ..

لابد أن يعرفه (العقل) ..

وبمجرد إثارة أى مشكلة أو أزمة ..

فإن الكمبيوتر الفائق الذى يرى كل شىء ..

يصل إلى حلها !

وكما أنه يدمر كل الأفعال الشريرة .. ويعاقب مرتكبيها ..

فإنه يهتم بأى تصرف للخير أو الفضيلة .. ويكافئه ..

والذين يقومون بهذه الأعمال .. يرقون إلى أرفع الرتب ..

ويتمتعون بأعظم المزايا ..

ويحصلون على أعلى السلطات ..

المستوى الأول : المشرفون ..

وكان لأولئك .. سلطة كاملة على العاملين طوال ساعات العمل ..

وكذلك تقسيم الواجبات ..

المستوى الثانى : طيارو سفن الفضاء .. والذين يقومون بإنجازات واضحة .. مثل : المستكشفين والفنانين كالموسيقيين والرسامين ومؤلفى المسرحيات والممثلين ..

أما المستوى الثالث الأعلى :

فكان لمصممى البرامج ومبرمجى الكمبيوتر الفائق (العقل) ..

وكل مستوى كان يرتدى لونًا مميزًا ..

فالمشرفون يرتدون اللونين الأحمر والأخضر ..

والمبرمجون الأسود البَراق ..

ومصممو البرامج اللون القرمزى الموشى بالذهب ..

والفنانون اللون الأبيض .. والعلماء اللون الأزرق ..

أما بالنسبة للعاملين فلم تكن مادة ملابسهم ذات بريق ساطع .. وكانت ألوانها متنوعة !

★ ★ ★

وذات يوم سأل (تامر) جاره الأيمن .. الذى أصبح صديقه ..

ـ ماهو المستوى الذى يرتدى ملابس قرمزية لامعة موشاة بالذهب ؟

نظر إليه الرجل فى دهشة ..

ثم أجابه بعينين مسدلتين :

ـ هذا هو لون (العقل) !! ولا يرتديه سوى مصممى البرامج .. الطبقة الحاكمة ..

وأنا مندهش من أنك رأيت أحدهم .. لأنهم نادرًا ما يسيرون بين الجمهور ! ورفض أن يتحدث أكثر من ذلك فى هذا الموضوع ..

برغم أن (تامر) كان فى أقصى حالات الفضول والتساؤل ..

لأن (فاليا) الفاتنة .. التى تعلق بها قلبه .. كانت ترتدى ملابس قرمزية موشاة بالذهب ..

إذن فهى من الطبقة الحاكمة !

حدّق (تامر) فى ركن حجرته الصغيرة ..

متأملاً .. ومتصورًا .. أن إحدى وسائل الكشف .. والتنصّت ..

لابد أن تكون مخبأة هناك بمهارة ..

لأن السقف والجدران تتقابل فى وصلة سلسة وخالية تمامًا !

وأحس بخوف مفاجئ ..

من عدوٍّ مجهول !

ـ ٤ ـ

كان العمل بسيطًا جدًّا .. مقارنة بمقدار الفراغ المتكرر ..

ونادرًا ما فكر العاملون فى المزيد من الراحة والرفاهية ..

إلا أن (تامر) شعر بنوع غير مريح من الكراهية لكل هذا ..

وأدرك السبب فى محاولة التمرد ..

مثلما أشار إليه الرجل الذى قابله يوم وصوله إلى المدينة ..

إن الجنس البشرى لم يكن يحتاج لكمبيوتر فائق ..

مجرد آلة متطورة ..

ليريه كيف يعيش !

فعن طريق العمل وحده .. والإبداع .. والابتكار الإنسانى ..

تزدهر الحضارة .. وتتقدم ..

أعطاه المشرف (كونتر) تعليمات إعفائه .. قائلاً له :

ـ سوف تذهب أولاً إلى حجرة الملابس .. وترتدى ملابسك على نحو سليم ..

ثم ابحث عن قصر السعادة الجنوبى .. واسأل عن مكان إقامتك .. فهناك جناح محجوز باسمك .. لقد قمت بعملك على خير وجه .. ولذلك أنت تستحق الآن أن تجنى ثمار عملك !

ثم تريث قليلاً وأضاف قائلاً :

ـ أتمنى أن تتمتع بوقتك !

★ ★ ★

اتضح لـ (تامر) أن الجناح المحجوز له ..
عبارة عن حجرة واسعة ملحق بها حمام فاخر ..
وكان لون الجدران بنفسجيًا فاتحًا ..
أكثر قتامة عند الأرضية ..
وشاحبًا باتجاه السقف ..
لم تكن هناك أى صور تزين الجدران ..
لكن كانت عدة لوحات، تحكم !
بدت ملابسه الجديدة مريحة .. وناعمة ..
ونظرًا لأن درجة حرارة المدينة بأسرها ..
كانت تحت السيطرة ..
فإن رقة أقمشة الملابس .. لم تكن على حساب الدفء .
وتعلم (تامر) كيف يشغل حمام البخار بنفسه ..
ثم استرخى على أريكة مجهزة .. بمراتب مائية مدهشة ..
وهنا كان ينام طوال عشر ساعات ..
ثم يتناول طعامه .. الذى يطلبه بمجرد الضغط على أحد الأزرار ..
ويبدأ فى استكشاف المدينة ..
لقد أصبح رجلاً جديدًا .. من الداخل والخارج ..
كان ترتيب مبانى المدينة هكذا ..
فى المنتصف يرتفع المبنى الضخم (المعبد) الخاص بـ (العقل) !
وحوله قصور السعادة الأربعة المسماة ..
حسب الاتجاهات الرئيسية للبوصلة ..

ويحيط بهذه المجموعة الداخلية .. طريق مشجَّر واسع ..
وترتفع خارج هذا الخط .. مبانى العمل والمصانع والمختبرات ..
على طول الطريق حتى الجدار الخارجى للمدينة ..
وأول فكرة خطرت لـ (تامر) عقب مغادرته للقصر الجنوبى ..
هى استكشاف مناطق العمل ..
لكن بعد عبوره للطريق المشجر ..
أوقفه أحد المشرفين .. الذين يرتدون الثياب الحمراء والخضراء .. قائلاً له :
ـ هذه ليست ساعة وردية العمل !
رد (تامر) بسرعة :
ـ إننى كنت أقوم بمشاهدة انمدينة .. فهذه أول فترة راحة لى !
هز المشرف رأسه وهو يقول :
ـ هذا غير مسموح به .. إذ ليس من المفيد أن يراك من يعملون .. وأنت فى وقت الراحة !
صمت (تامر) للحظة ثم تساءل فى رجاء :
ـ هل أستطيع الذهاب إلى الأقسام الخارجية من المدينة ؟
أجابه المشرف بحدة :
ـ بالطبع لا ! إنك فى وقت راحتك .. أى نوع من الناس أنت ! بحيث تغادر قصور السعادة .. وتنطلق إلى الطرق !

★ ★ ★

عاد (تامر) أدراجه إلى حيث كان ..
ولم يكن موجودًا وقتئذ سوى خمسة مبانٍ يمكن أن يدخلها ..
وبدأ على الفور فى الاتجاه إلى مبنى (العقل) ..
لكن عند جسره الضخم المزود بقضبان من الصلب ..
أوقفه رجل طويل القامة .. يرتدى الملابس السوداء البراقة ..
بعد أن انزعج لمحاولته المفاجئة لدخول منطقة .. محرمة !
وبدا واضحًا أنه غير مسموح لأى شخص تحت أى ظرف ..
دخول مبنى الكمبيوتر الفائق .. (المعبد) .. ماعدا مصممى البرامج .. والمبرمجين !
رجع (تامر) إلى قصور السعادة ..
ولأن القصور الأربعة كانت متماثلة تمامًا ..
فقد اختار قصره لكى يبدأ منه ..
كان بصالة الدخول صفوف من المصاعد والممرات ..
التى تفضى إلى رواق داخلى واسع ..
ومكتب مراقبة .. وتحكم ..
قبع وراءه حارسان نائمان تمامًا على أريكتين وثيرتين !
والضغط على أى زر .. لابد أن يوقظهما ..
فيهبا .. وأعصابهما متوترة من الصدمة !
إلا أن (تامر) أحجم عن ذلك ..
وبدلاً من ذلك اختار أحد الممرات عشوائيًا .. وبدأ يسير فيه .. ببطء ..

مرَ بأبواب مغلقة كثيرة .. قبل أن يصل إلى مدخل واسع ..
دلف منه إلى صالة مظلمة ينبعث منها ضوء أحمر .. متوهج .. خافت ..
وكان هناك لهب متراقص على ناحية واحدة .. فوق منصة مرتفعة ..
تمتد من جدار إلى آخر ..
ولا يوجد غيره شيء مضيء في الحجرة ..
ولعل مئة من الرجال والنساء .. كانوا يرقصون على الأرضية الزجاجية ..
ويتمايلون على أقدام صامتة !
وبدت الموسيقى غريبة .. وغير مألوفة لـ (تامر) ..
فقد كانت بإيقاع متغير باستمرار ..
وآلات عجيبة .. وأنغام غير مستقرة .. تنتقل من تناغم معين إلى آخر .. بشكل لا يمكن وصفه !
بحيث إنها جعلت الدم يندفع إلى صدغية .. بتأثير موسيقى النيران .. الحالمة ..
وأخذ قلبه يخفق بالنشوة .. عندما تذكر (فاليا) الفاتنة !

★ ★ ★

تراجع (تامر) إلى الممر مرتبكًا ..
وأخيرًا وقف وهو يلهث ..
أمام قاعة كبيرة مضاءة بأضواء ساطعة ..
يقف فيها رجال ونساء .. أو يجلسون على أرائك وثيرة ..

وسط غابة من النباتات المتألقة ذاتيًا ..
ذات زهور رائعة الجمال ..
اقترب (تامر) من أحد هذه النباتات ..
واكتشف أن الساق والأوراق والتويجات منفوخة .. ببراعة .. في زجاج رقيق ملون بألوان الطيف !
وبينما كان يقف هناك .. متأملاً ..
ربت شخص ما على كتفه برقة ..
استدار بسرعة ليكتشف أنه جاره الأيمن في حجرات العمل .. خلايا النحل ! :
ـ حسن أيها البرىَ ! إنك تبدو تائهًا ! ألا تحب مدينتنا الجميلة ؟
رد (تامر) في حيرة .. وهو يتلفت خوفًا من رقابة (العقل) :
ـ إنني لم أشاهد الكثير منها .. وأخشى أنني لم أتمكن من فهم العديد ..
مما رأيته فعلاً !
وقبل أن يجيب جاره ..
داهمتهما مجموعة من الشباب ..
سحبت معها زميله إلى قاعة الرقص ..
وتركوا (تامر) وحيدًا .. يفكر !
كم تغيرت الحياة خلال أربعمائة عام ..
فقد أصبح الكمبيوتر هو الذي يحكم ..
أما البشر فيقومون بأقل جهد ..

وكل العمل تقوم به الآلات المتطورة !

وتساءل (تامر) فى نفسه :

ـ تُرى هل كان هذا حلم البشرية .. فى القرن الحادى والعشرين ؟ الذى تعبوا .. وضحوا بأنفسهم من أجله ؟ إن الحكم الآلى .. هو أسوأ مصير يهدد البشرية !

إن الإنسان أصبح يعيش حياته المعدنية الجافة ..

فى عزلة تامة !

سار بتثاقل واستقل أحد المصاعد ..

إلى طابقه الثانى عشر ..

حيث شعر بالأمان وهو داخل جناحه ..

طلب وجبة غذائية دسمة ..

وشغل جهاز العرض المجسم ..

للقيام برحلة .. إلى كوكب آخر !

ـ ٥ ـ

مر يومان قبل أن يجازف (تامر) بالنزول ..

إلى حجرات الرقص واللهو ...

وهذه المرة اختار مسارًا آخر ..

وسرعان ما وصل إلى قاعة مبطنة بالحرير الأحمر القانى ..

حيث كانت فرقة استعراضية تؤدى رقصاتها ..

وسط وهج وردى من الضباب المعطر .. والضوء الخافت ..

بينما تمدد عشرات من الناس بطول الجدار فى استرخاء ..

وقف (تامر) مبهورًا بروعة المشهد ..

وعندما استدار لكى يخرج من المكان ..

وجد فتاة فى ملابس حريرية ..

رمقته باهتمام مفاجئ ..

ثم ابتسمت له !

حاول أن يتملص منها ..

لكنها وضعت ذراعها فى ذراعه ..

وقربت وجهها من أذنه .. وهمست له ..

ولم يصدق الكلمات التى نطقت بها :

ـ قال الرجل الذى يرتدى الملابس الزرقاء .. إنك سوف تكون ممتنًا .. عندما أنقذ حياتك !

وقف (تامر) ساكنًا .. ومشدوها تمامًا ..

إذ كانت الفتاة هى (فاليا) .. التى أسرته !

أردفت (فاليا) :

ـ ... على الأقل تظاهر بأنك لا تشعر بالضيق .. لمجرد رؤيتى ! تعال هنا واجلس بجوارى !

جلس بهدوء فوق وسائد حريرية .. ناعمة ..

أحس أن شيئًا ما يولد فى أعماقه .. مثل خفقة جناح طائر من نور !

غلفهما الضباب الذى يلف القاعة :

ـ لقد انضممت للثوار .. لإيمانى بقضيتهم ! إننى أحاول

الاتصال بك منذ يومين .. ولم أتمكن من الذهاب إلى جناحك .. لأن (العقل) لـه عيون فى كل مكان .. وهنا إذا همسنا وتظاهرنا بأننا نتمتع بوقتنا .. فإننا نكون فى أمان تام !

تساءل (تامر) :

ـ ماذا تريدين ؟

حدقت فى وجهه بعينيها الذهبيتين .. الآسرتين وهمست :

ـ لقد حان الوقت لتنفيذ وعدك للرجل الذى أنقذ حياتك !

رد (تامر) بسرعة :

ـ حسن ! إذا كان ذلك له أى علاقة بتحرير العالم من الكمبيوتر الفائق (العقل) ..

فإننى سوف أوافق على الفور !

ابتسمت (فاليا) وتألقت عيناها فى فرحة وهى تقول :

ـ إن الأمر كما توقعت تمامًا ! وأنا سعيدة بأنك تفكر على هذا النحو !

أنت الرجل الوحيد فى العالم .. الذى يمكنه أن يساعدنا !

تريثت الفتاة قليلاً ثم قالت :

ـ ... لقد عشت أقل من عشرة أيام تحت سيطرة (العقل) ! . ولذلك يمكنك أن تدخل المبنى المحرم (المعبد) بمفردك .. أما الآخرين فلا يستطيعون ذلك ! وأنا مطاردة من السلطات الحاكمة !

تساءل (تامر) فى دهشة :

ـ ولم لا ؟

صمتت الفتاة للحظة .. وأجابت وهى تشرد بعيدًا بعينيها الجميلتين :

ـ الحقيقة أننى لا أعرف ! فبعد أن تعيش فى المدينة تحت سيطرة (العقل) لمدة شهر أو أكثر .. يحدث شىء ما لإرادتك .. وإذا وقفت على مسافة تقل عن عشرين مترًا من (المعبد) .. فإنك تفقد كل رغبة أو اهتمام .. ولابد أن يبعدك شخص ما !

ثم أضافت بعد برهة :

ـ ... لكن الآن بالتحديد .. يمكنك أن تضع يدك على المعدن الذى يتركب منه (العقل) !

أدار (تامر) هذه المعلومات المذهلة فى رأسه للحظات ..
وأخيرًا تساءل :
ـ ماذا بشأن مصممى البرامج .. والمبرمجين .. الذين يعملون فى داخل مبنى (العقل) ؟
ردت مؤكدة :
ـ تعلم أننى كنت واحدة منهم ! إنهم يجب أن يرتدوا خوذات معدنية من مادة (التيتانيوم) .. مضادة للمجالات المغنطيسية .. وهى لا تعطى إلا لوظائف محددة .. وفى مدخل (المعبد) يتقابل ثلاثة رجال مرتدين خوذات ويدخلون معًا .. وكل منهم لا يعرف الآخرين .. لأن الخوذات تخفى شخصياتهم .. وأحدهم فقط يحمل البرامج الكمبيوترية .. بينما يشهر الآخران أسلحة يوجهونها إليه .. طوال الوقت الذى يكون فيه داخل معبد (العقل) ! وعند أدنى حركة مشكوك فيها .. يقتل على الفور !
أطرق (تامر) برأسه وهو يقول :
ـ نعم بالتأكيد ! يبدو أن (العقل) حذر دائمًا .. لكن لماذا ؟
أجابت (فاليا) بصوت هامس :
ـ لقد حدثت ثورات أخرى بالطبع ! آخرها حدث منذ مئة عام مضت ..
وتم تدمير نصف العالم .. لكن (العقل) انتصر فى النهاية .. وأتمنى أن ينهزم هذه المرة !
تساءل (تامر) فى حيرة :
ـ ما الذى يجب عمله ؟

قالت بحماس :
ـ هذا بسيط جدًا ! فيما يتعلق بالمطلوب منك ! يوجد رواق صغير داخل المعبد بعيدًا عن الممر الرئيسى .. ولا توجد به حراسة .. لأن الباب الثانى الذى يؤدى إلى داخل المركز الفعلى (للعقل) يكون مغلقًا دائمًا .. ولا يمكن لأى شخص أن يقترب منه !
تريثت للحظة ثم أردفت قائلة :
ـ ... يوجد بين البابين .. ساحة صغيرة .. على طول أحد جدرانها يجرى كابل مكسو بالرصاص .. سوف تأخذ معك سكينًا حادًا .. ومحولاً صغيرًا مسطحًا .. وعليك توصيل أطراف هذا المحول .. ثم تقطع الكابل ! وهذه عملية بسيطة جدًا .. بفضل خمس سنوات من العمل الشاق والإعداد والتخطيط بمعرفة قائد التمرد .. أخى !
عاد (تامر) يتساءل فى حيرة :
ـ لكن ما فائدة ذلك ؟
ردت (فاليا) بتؤدة :
ـ يعمل (العقل) بالكهرباء .. الآن يحصل على تيار مستمر .. وسوف تغيره أنت إلى تيار متردد .. وعندئذ سيتحطم ويتهدم الذكاء الصناعى داخله .. وتدمر الرقاقات البيولوجية ووحدات المنطق .. وفى الحال سوف يصاب (العقل) بالشلل !
صمت قليلاً ثم قال :

ـ لكن ترى ألن يراني (العقل) وأنا أعمل ؟

همست (فاليا) فى حدة :

ـ لا تخف ! فالساحة لا تفضى إلى أى مكان .. كما أن الضوء خافت .. ولا يوجد كاشف مركب هناك .. والآن هيا بنا !

انقشع ببطء الضباب الوردى ..

تلاشى القلق .. ذاب جليد الأرق .. فهو الآن رجل عاشق .. يسبح فوق مياه الحنان !

اختفت الفرقة الاستعراضية ..

وبدأ المشاهدون يغادرون القاعة ..

ثم نهضت (فاليا) .. وسار معها (تامر) فى الممر .. يدها فى يده ! وذهنه تائه .. وفى جسده وعقله خدر لذيذ .. لا يترك مجالاً للتفكير !

قادته إلى خارج المنطقة .. إلى حجرة اللهب الأحمر ..

وهناك قالت له بصوت خافت :

ـ يجب ألا نظل معًا أطول من ذلك .. سوف آخذك إلى قاعة فى نهاية هذا الممر وهناك ستقابل رجلاً عليك أن تتذكره جيدًا ! لقد أخفى السكين والمحول فى طيات ملابسه ! ودائمًا عليك إخفاء هذه الأشياء .. لأن كل جدار له عيون فى هذه المدينة ! وتصرف كما لو أن شخصًا ما يراقبك باستمرار !

نظر (تامر) حوله وتساءل :

ـ وأين أحصل على خريطة للمكان ؟

أجابت بسرعة :

ـ لن تحتاج إليها ! عليك بالسير فى القاعة الكبيرة .. ثم اتجه إلى حيث المشغولات الزجاجية التى على الجدار الأيمن .. تسلل خلفها وسوف تجد بابًا صغيرًا افتحه .. واستدر إلى اليسار وبعد سبع خطوات .. مد يدك عند مستوى صدرك .. ستجد طوبتين متحركتين فى الجدار .. وخلفهما يوجد الكابل .. أضعف جزء فى (العقل) ! والمحول مصنوع خصيصًا لكى ينزلق فى التجويف .. بحث يمكن استبدال الطوبتين ..

وعندما يهرع المبرمجون للبحث عن سبب العطل .. لن يروا شيئًا إلا بعد فوات الأوان !

★ ★ ★

فى خلال عدة دقائق .. تابعا سيرهما فى الممر ..

وتحدثت (فاليا) حديثًا مرحًا معه ..

ورمقته بنظرات غامضة ..

ثم وصلا إلى قاعة الاستقبال الكبرى ..

وبينما هما يدخلان .. أخذ رجل طويل القامة .. صارم القسمات .. يتقدم منهما ببطء .. ثم قال لـ (فاليا) فى حدة :

ـ أين كنت ؟ إننا نبحث عنك فى كل مكان !

اتسعت عينا الفتاة فى رعب ..

ثم هرعت بعيدًا عن الرجلين ..

وهى ترمق (تامر) بنظرة مشجعة !

قال الرجل الكئيب :

ـ أظن أن كاحلى قد التوى ! هـلا ساعدتنى فى الذهاب إلى هذه الأريكة ؟

ارتاب (تامر) واحتار فى أمره ..

لكنه وضع ذراعه تحت كتف الرجل ..

وأحس بجسمين من الصلب .. السكين والمحول !

يندفعان داخل أبزيم تثبيت بنطلونه من الخصر ..

كانا مختفيين بين ملابس الرجل ..

ثم سمع همسًا مروعًا :

ـ أنت مشتبه فيك ! ويجب أن تسير قدمًا فى الخطة .. فى خلال الساعة القادمة ! الأفضل أن تختفى عن الأنظار !

ـ ٦ ـ

اعتدل الرجل فى جلسته ثم أردف بصوت عال :

ـ ... شكرًا لك ! إننى لا أشعر بأى ألم الآن ! هيا اذهب !

نظر (تامر) حوله فى حذر ..

وظن أنه لاحظ عددًا غير عادى من الأشخاص ذوى الملابس الحمراء والخضراء .. حول المدخل وفى الممر الذى بعده ..

كان كثير من المشرفين ينظرون فى اتجاهه ..

فأدرك أنه إما أن يقوم بالمهمة الآن ..

أو لا لزوم لذلك قط !

سار بتؤدة بعيدًا ..

فى اتجاه الركن المعين ..

وعندما انخرط فى حشد الناس والأثاث ..

فى هذا الجزء من القاعة ..

لاحظ بركن عينه أشباحًا كثيرة ..

بدأت تتحرك إلى الأمام .. من المدخل ..

وكان قلب (تامر) يدق كالمطرقة ..

عندما وصل إلى المشغولات الزجاجية الضخمة ..

التى ملأت الركن الأيمن ..

ووجد حيزًا مناسبًا لكى يدخل فيه وراءها ..

وبمجرد أن ابتعد عن الأنظار ..

أخذ يعمل بسرعة محمومة ..

انفتح الباب الخلفى بسهولة ..

واندفع يعبر مساحة صغيرة ..

انفصلت الطوبتان بسهولة ..

وشق (تامر) الغطاء الرصاصى للكابل .. بالسكين الحاد ..

ولم يكن المحوّل واضحًا هكذا لعينيه ..

إذ كان عبارة عن مسطح معدنى من الأسلاك الملونة .. المتعددة الأشكال ..

ذات المظهر شديد التعقيد ..

وآلاف الرقاقات البيولوجية ..

واهتدى (تامر) بسهولة إلى الأطراف الرصاصية ..

وسرعان ما ثبت كلبسًا موجودًا على كل واحد منها .. فى الكابل ..

وبعد ذلك لم يكن أمامه .. سوى شق الكابل بالسكين ..
لكن فضوله .. وهو أعظم نقطة ضعف فى الإنسان !
كاد أن يؤدى إلى هلاكه ..
إذ كان مثبتًا فى منتصف الباب الثانى ..
عين بللورية دائرية صغيرة ..
تمكن من رؤية (العقل) وهو يعمل !
تجاهل (تامر) أى مراقبة محتملة ..
وخطا بحذر إلى الباب الفولاذى ..
واختلس النظر من العين البللورية ..
كان شامخًا أمام ناظريه ..
معجزة القرن الخامس والعشرين ..
الكمبيوتر الفائق .. (العقل) ..
وفى حالة الإثارة التى انتابته ..
لم يستغرق الأمر سوى عدة ثوان ..
لكى يثبت المنظر فى ذهنه ..
لثلاثين مترًا فى الهواء ..
ارتفعت كتلة جبارة من الأسلاك الملونة ..
والرقاقات البيولوجية .. والدوائر الإلكترونية ..
وجميعها مبطنة بملفات صغيرة ..
وصفوف من المؤشرات الدقيقة ..
وآلاف الشاشات المجسمة ..

التى تعمل بأشعة الليزر ..
كان ذلك قمة فى الدقة والتعقيد ..
ارتفعت فى شموخ من الأرضية المطاطية ..
إلى القبة الزجاجية التى تشكل السقف ..
وفى نفس الوقت تمتد إلى ما بعد النظر فى كلا الاتجاهين ..
وكانت توجد فى الداخل ممرات محاطة بقضبان حديدية ..
وسلالم كهربائية تفضى إلى جميع الاتجاهات ..
حتى يمكن لمصممى البرامج .. والمبرمجين ..
الوصول إلى كل أجزاء (العقل) !
وفجأة .. حذرته حاسته السادسة ..
إن الأفضل الانتهاء من مهمته !
فعاد مسرعًا إلى الكابل .. وأحاطه بقوة بالسكين ..
ثم جذبها بعنف !
وفجأة أصابته صدمة كهربية مروعة ..
وكأن شخصًا ما أصابه بضربة قوية ..
على مؤخرة رأسه !
كانت موجة جبارة .. اهتزت لها كل خلية فى جسمه ..
بقى للحظات لا يرى ما حوله ..
ولكنه ظل ناظرًا إلى السكين .. وهى تحيط بالكابل نصف المقطوع !
قال شىء ما فى داخله :

ـ استمر ! اضغط عليه !
لكن لم يبد أن هناك علاقة بين هذا الصوت الداخلى ..
وأعصابه .. وعضلاته ..
كانت ذراعه قد أصابها الكلل ..
من وضعها هذا .. وأصبحت عاجزة !
ورأى سكينه .. تسقط بعيدًا عنه ..
مرة أخرى .. وبمعجزة عادت إليه قدراته العقلية !
تساءل فى هلع :
ـ ما هذا الأمر الغريب الذى حدث ؟
وقامت يده المنزلقة بإكمال نصف اللفة اللازمة ..
لقطع الكابل !
وهكذا تم فصل (العقل) ..
فمات !
فكر (تامر) لثانية واحدة .. فى تركه هكذا ..
والنجاة بنفسه ..
لكنه سرعان ما أدرك أن هذا الخلل ..
سوف يكتشف ويتم إصلاحه !
لم يكن من السهل على إنسان عادى ..
لا ينتمى إلى هذا العصر ..
إن يتفوق على كمبيوتر فائق ..
آلة تفكير .. ذات ذكاء صناعى ..

عملاقة .. جبارة .. متطورة !
التقط السكين .. بيد ترتعد .. ووضعها فى جيبه ..
وأعاد الطوبتين المتحركتين بعناية إلى مكانهما ..
وسمع للحظة أزيزًا فى المحول ..
إذن فهو ما يزال يعمل !!
وعندئذ سرت فى جسمه .. موجة طاغية من الرعب ..
بينما اضطرب عقله تمامًا ..
شىء رهيب مجهول .. حلّق فى مؤخرة رأسه ..
وبدا أنه يزيد من الظلمة أمام عينيه ..
جف حلقه .. وارتفعت دقات قلبه .. وارتعشت شفتاه ..
صاح (تامر) :
ـ يا إلهى !
واندفع من الساحة .. وأغلق الباب وراءه ..
ثم شعر بتحسن ..
كما لو أنه نجا من خطر محدق !
وعبر الممر الضيق .. بحذر بالغ ..
وانسل من وراء المشغولات الزجاجية ..
ودخل فى الحجرة المتلألئة المكتظة بالناس ..

★ ★ ★

تأكد (تامر) أن أحدًا لا يبحث عنه حتى الآن ..
برغم أن قلبه كان يدق بعنف ..

تعبيرًا عن شعوره بالذنب !
تحرك بتثاقل .. ولا مبالاة .. تجاه المدخل ..
الذى قاده إلى الدهليز ..
سار بسرعة لينشط جسمه ..
حتى لا يظهر أى عاطفة ..
إذ كان يقف بالقرب منه ..
ستةُ مشرفين !
مر من بينهم .. والدم يكاد يتجمد فى عروقه ..
وطوال ثوانى رهيبة .. تصور أنه يستطيع الهرب !
ثم حطت يد قوية على كتفه الأيمن .. وصاح شخص ما :
ـ أيها البرىَ ! إن (العقل) يريد حضورك مع مجموعة من الناس !
أصابه الذعر فجأة ..
وبذل مجهودًا لكى يخلص نفسه ..
ثم اندفع يركض فى القاعة ..
وبعد عدة خطوات أدركه مطاردوه .. وأمسكوا به ..
وألقوا به بفظاظة فى حجرة بعيدًا عن الدهليز ..
ووقف رجل يرتدى زيًا رسميًا أمامه فى موقف الاتهام له وقال :
ـ فتشوه !
عبثت أيد عنيفة فى ملابسه ..

وأخرجت السكين !
هرع رجل الأمن إلى لوحة على الجدار ..
وضغط على زر فيها ..
ثم تحدث فى فتحة صغيرة ..
انفتحت بمجرد أن لمسها .. قال باحترام :
ـ محاولة للتدمير يا مولاى !
انتظرت المجموعة فى سكون ..
لكى تسمع الحكم الرهيب .. الذى سوف يصدره (العقل) ..
ولدهشتهم .. نطق صوت رنان فى الجدار بهذه الكلمات :
ـ قاعات الرقص فارغة .. محصول القمح ضئيل .. استهلاك الكهرباء مرتفع !
تراجع رجل الأمن إلى الخلف فى ذهول ..
وبدا عليه القلق الشديد .. وزاغت نظراته ..
وأردف صوت الكمبيوتر قائلاً :
ـ ... لا يمكن مغادرة سفن الفضاء !
ساد سكون فرض نفسه ..
ثم تحول رجل الأمن برقبته الحمراء المنتفخة .. إلى (تامر) فى غضب شديد .. وقال له :
ـ ما الذى يحدث هنا ؟ ماذا فعلت ؟ اضربوه يا رجال حتى يخبرنا بما ..
لم ينه جملته قط ..

إذ سمعوا هديرًا هائلاً .. ثم انفجارًا مروعًا ..
أحدث هزة قوية فى الأرضية والجدران ..
وتهشمت المشغولات الزجاجية بصوت مدو !
وعندما استداروا إلى الباب متسائلين ..
اندفع رجل إلى داخل القاعة وهو يصرخ :
ـ انفجرت سفن الفضاء فوق سطح المدينة .. وحطمت قمة (المعبد) نفسه !
انطلق رجال الأمن بعيدًا وهم يصيحون ..
وخرج (تامر) من القاعة .. دون أن يعترضه أحد ..
ركض بسرعة فى الدهليز ..
وخرج إلى الطريق ..
كانت المدينة فى هرج ومرج ..
وقف رجال ونساء يتحدثون بانفعال ..
أو كانوا يسرعون الخطى بوجوه شاحبة .. حائرة .. مرعوبة ..
على خطوط السير المتحركة ..
دون هدف محدد !
واندفع مصممو البرامج والمبرمجون هنا وهناك ..
بين حشود الناس .. فى اتجاه (المعبد) ..
وسادت حالة من الجنون فى المدينة كلها ..
بينما تصاعد دخان كثيف من مكان ارتطام سفن الفضاء ..
جثم شبح خوف مريع على كل شىء ..

وفكر (تامر) مليًا فى الأمر ..

وتساءل فى نفسه :

- تـرى متى يحيـن موعد الخطـوة التـالية فى الثورة ضد (العقل) ؟ وهل ستكون دموية ؟

ثم شاهد جماعات من الرجـال والنسـاء .. تتجـه فـى تصميم واضح .. إلى أماكن عديدة .. محددة ..

وتوقفت بجواره إحدى هذه الجماعات الثورية ..

ووجهت رئيستها كلامها إلى السكان ..

وكان صوتها عاليًا .. وهادئا .. ومقنعًا :

- لقد جن (العقل) ! هل سوف نتركه يفقدنا جميع إدراكنا وعقلنا البشرى ؟

ألا تشعرون بذكائه الصناعى يتصارع معكم ؟ إنه مجرد آلة صماء !

ترى هل سنبدأ بعد ساعة فى أن يقتل بعضنا بعضًا ؟

كان الاهتمام واضحًا على الجميع ..

وسرت همهمات تعبر عن الخوف بين المستمعين ..

واصلت الزعيمة قولها :

- ... يجب إسكات (العقل) حتى يمكن الانتهاء من إصلاحه ! وبهذه الطريقة فقط يمكننا أن نحتفظ بعقولنا البشرية .. وصوابنـا الآدمـى .. لكـن مصممـى البرامج لـن يسـكتوه .. فـإن لديهـم خـوذات الوقـاية .. فلمـاذا يهتمـون بنا ؟ إننا لن نتحمل ساعة

واحدة أخرى .. بل إن بعضنا لن يتحمل دقيقة واحدة ! انظروا ! هذا الرجل فى حالة جنون !

لم يعرف (تامر) ما إذا كانت هذه الأحداث ..

قد خطط لها المتمردون أم لا !

إذ بدأ رجل ضخم يضرب رأسه فى جدار حجرى للمبنى ..

وعندما امتدت أياد كثيرة إليه .. للإمساك به ..

استدار ناحية من يقدمون له المساعدة ..

وهجم عليهم بغضب هائل !

وقفز فوقه عشرة رجال ..

حتى هدأ تمامًا !

تم إثارة الجموع كلها الآن ..

وأخذت تندفع إلى كل مكان وتصيح :

- إلى متى يستمر هذا ؟ هل نقبع ساكنين هنا .. حتى ينتهى أمرنا .. مثل هذا الرجل ؟

ودوت صيحات هائلة :

- لا .. لا .. لا .. !

قالت الزعيمة بقمة انفعالها :

- إذن إذا أردتم إنقاذ أنفسكم .. فهناك طريقة واحدة ! أمسكوا أية أسلحة تقع تحت أيديكم .. واتبعونى .. وسوف نقضى على هذه الآلة البلهاء (العقل) !

اندفعت الحشود كالسيل ..
وتركت الطريق مقفرًا ..
وتبعهم (تامر) إلى مسافة ما ..
ثم رآهم يتدافعون من الممر .. إلى معبد (العقل) ..
كان المشهد مؤثرًا ..
إذ وقفت هناك مجموعة متراصة من مصممى البرامج .. والمبرجين ..
وأبعدوا المتمردين بنوع من الأسلحة النارية ..
كلما هجموا عليهم ..
وتكومت جثث القتلى والمحتضرين ..
ثم قذف أحد المتمردين بقنبلة حارقة ..
أدى انفجارها إلى المزيد من القتلى ..
وأحاط دخان أبيض بالمدخل لمدة دقائق ..
وعندما انقشع الدخان ..
شاهد (تامر) نهرًا من البشر ..
يتدفق إلى داخل المعبد ..
وحانت نهاية (العقل) المحتومة !

ـ ٨ ـ

عرف (تامر) بعد ذلك بعض التفاصيل عن الدفاع الأخير (للعقل) ..
لكن أيًا من المتمردين لم يكن يتذكر الكثير منها ..

إذ تم مطاردة كل الباقين من الرجال والنساء المرتدين الملابس القرمزية الموشاة بالذهب .. واحدًا إثر الآخر ..
والقضاء عليهم !
وبدأت آلاف المطارق المحمومة ..
تدق وتحطم الكمبيوتر المعقد الهائل ..
وعندما تمكن العلماء ذوو الملابس الزرقاء ..
من الإشراف على عملية إعادة النظام ..
بوساطة دوريات الحراسة المنظمة ..
كان معبد (العقل) قد أصبح فى حالة يرثى لها ..
ولا يجدى فيها إصلاح !
وكانت الرقاقات البيولوجية .. والدوائر الإلكترونية .. والمعدن والزجاج .. مختلطة بدماء البشر !
وبهبوط الليل كان التمرد على الكمبيوتر الفائق الحاكم (العقل) ..
قد أنجز مهمته ..
وعندما ذهب (تامر) إلى جناحه .. فى قصر السعادة ..
كان يحس بشعور من قام بإنجاز عظيم ..
تمدد على فراشه .. يستعرض كل ما حدث فى هذا اليوم المشهود ..
ويتمنى أن تكون (فاليا) بخير !

لاشك أن الجنس البشرى .. سوف ينطلق كثيرًا فى مسار تقدمه ..
وتطوره إلى الأفضل !
وعندما استيقظ فى الصباح ..
كان مشهورًا فى كل أنحاء العالم ..
فهو الذى أصاب (العقل) بالشلل !
وحرر العالم من قبضته ..
جاءه وفد من المتمردين وعرضوا عليه أى مكافأة يريدها ..
تقع داخل إمكانياتهم ..
ولكنه أخبرهم أنه يقوم بتجربة علمية .. للسفر فى نفق الزمن ..
وتساءل :
ـ هل يمكننى الحصول على المواد التى أحتاج إليها ؟
ولذلك تقرر فورًا أن تزود سفينة فضاء ضخمة ..
بكميات كبيرة من الرصاص والأدوات والأجهزة ..
واحتاج الأمر من (تامر) إلى الكثير من تكرار الكلام ..
لإقناعهم بصدق قصته ..
وأنه ينتمى للقرن الحادى والعشرين !
والذى أقنعهم أخيرًا ..
منظر الشكل التشريحى لجسمه ..

المعروض على الشاشة المجسمة لجهاز الكشف بالأشعة ..
واتضح بشكل قاطع وجود عضوين لم يعودا موجودين ..
فى أجسام الكائنات البشرية ..
فى القرن الخامس والعشرين ..
هما الزائدة الدودية .. والغدة الصنوبرية !

★ ★ ★

شرعوا فى مساعدته فى حفر نفق مكان غرفته المبطنة بالرصاص .. فى الغابة تحت سطح الأرض بعشرين مترًا ..
بآلات حديثة سريعة .. وواصلوا العملية الإنشائية ..
وبعد عدة أيام .. انتهى العمل كله ..
وتم تجهيز غرفته التى سوف ينام فيها ..
ليستيقظ مرة أخرى .. بعد أربعمائة عام ..
ليقوم بمغامرة جديدة !

ـ ٩ ـ

فحص (تامر) كل المعدات والأجهزة .. وتأكد من صلاحيتها ..
وبدأ يستعد لنومه التالى فى قلق .. وتوتر ..
إذ كان يتقدم فى العمر ..
كما أن هذا النمط من الحياة .. لم يكن من الممكن أن يستمر إلى الأبد ..
ولذلك كان يتعين عليه عدم إضاعة أى جزء ..

من الفترة الباقية من عمره ..
وأدرك أنه لا مكان للحب المستحيل .. فى حياته !
لكنه ودع من معه .. بأسى حقيقى ..
وأخفيت الحفرة ببراعة ببعض الشجيرات النامية ..
ووقفت فى منطقة مجاورة قريبة ..
سفينة الفضاء التى كان مقررًا أن تقل رفاقه ..
لتعيدهم إلى المدينة ..
قال زعيم المتمردين مبتسمًا :
ـ رحلة طيبة لك ! أو لعل من الأصوب أن أتمنى لك أحلامًا سعيدة ؟
تألقت عينا (تامر) وهمس :
ـ الوداع ! وأنت أيضًا يا (فاليا) !
قالت وهى تبتسم ابتسامة حزينة .. وديعة .. وعيناها تفيضان سحرًا وفتنة :
ـ أرجو ألا تكرهنى .. لأننى أسرتك فى البداية !
قال وكأنما يتحدث إلى نفسه :
ـ أنا أكرهك !
وبالرغم من أنه يعلم أن الماضى كله .. سوف يموت ..
وأنه يركض خلف الخيط الرفيع .. الذى يجتذبه إلى المجهول ..

إلا أن حب (فاليا) ..
كان يتسرب تحت بشرته .. ويجرى فى شرايينه !

ـ ١٠ ـ

راقب (تامر) سفينة الفضاء وهى ترتفع إلى عنان السماء ..

التى بدأت الآن تظلم بالوهج الأرجوانى لغروب الشمس ..
وتأخذ فى الاتجاه شرقًا نحو الليل المقترب .. الذى يسدل أستاره ..
وقف دقائق يحملق فيها ..
ويشعر بدموعه محبوسة بين العين والجفن ..

ويفكر بحزن :

- إكليل شوك يطوق قلبى .. الدم ينزف .. وأشعر باختناق !

وأخذ الوداع يبعث فى جسمه .. موجات من القشعريرة ..

عندما يستيقظ مرة أخرى ..

سوف تكون (فاليا) قد ماتت !

وربما تصبح المدينة التى عاشوا فيها ..

مجرد أطلال مهجورة .. لفها النسيان ..

لكن على أى حال ..

وبالرغم من أن كل المعانى تفنى عند الموت ..

إلا أن الحب يبقى .. خالدًا !

★ ★ ★

ومرة أخرى سوف يمر الزمن .. بلا عودة ..

مجرد ذكرى ..

لم يكن بوسعه العودة إلى الوراء ..

فكل ماهو متبق له .. التقدم إلى الأمام ..

وحيدًا .. بلا صديق .. شبه يائس ..

وفى قلبه حب مستحيل !

وخطر له أمل مفاجئ ..

فى أنه لابد أن توجد فى المستقبل المجهول ..

إجابه للغز الحياة .. وسرها الخالد !

تشبع روحه المؤرخة ..

ورغبته فى المعرفة العلمية ..

وسواء حدث هذا أم لا ..

فالماضى لا يمكن إحياؤه أبدًا !

★ ★ ★

تبدد الضوء تمامًا من السماء .. وظهرت النجوم ..

وتكوّن النهر الفضى لمجرة (الطريق اللبنى) ..

بلايين الشموس ! إنها أصدقاء مألوفة له ..

برغم تغيرها الطفيف من السير الدءوب ..

عبر نفق الزمن !

وارتفع القمر مبكرًا فى تلك الليلة ..

وظهر فى ضوئه الرائع ..

الشبح القاتم لـ (تامر) وهو يدخل الشجيرات ..

ثم اختفى عن الأنظار ..

داخل غرفته المبطنة بالرصاص ..

آلة الزمن !

وتألق القمر فى جلال وهدوء ..

وأرسل ضوءه ليغمر الغابة الواسعة ..

مثلما فعل لقرون طويلة ..

وكما سوف يفعل لآجال مجهولة من الزمن !

أما (تامر) فقبل أن يفقد وعيه تمامًا ..

بفعل النيتروجين السائل .. ودرجات الحرارة التى تنخفض تحت الصفر .. بسرعة .. كانت هناك ابتسامة شاحبة .. فوق شفتيه اليابستين ..

وفى ذهنه تجسد وجه أشقر .. وعينان ذهبيتان .. وشعر كستنائى طويل .. وأنف دقيق .. وشفتان رقيقتان ..

وبرغم البرودة القارصة .. شعر بدفء غريب يتسرب عبر جسده ..

وينام عند حدود قلبه !

همس :

ـ (فاليا) ! كم أحبك !

وجاءه شبح الحبيبة الغالية .. يمسك يده ..

ليبعد عنه الخوف .. والغربة .. والمجهول ..

ويمنحه حرارة الحب !

★ ★ ★

رقم الإيداع : ٤٠٦١

المطبعة العربية الحديثة

٨ و ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة ـ ☎ ٢٨٢٣٧٩٢ ـ ٢٨٣٥٥٥٤

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

قصص من عالم الغد

☆☆☆☆

الكمبيوتر يحكم

هذه مجموعة قصصية جديدة تتضمن رواية كاملة من الخيال العلمى بالإضافة إلى قصتين طويلتين وقصة قصيرة . وفى هذا العدد العشرون من سلسلة (نوڤا) :

- مغامرة جديدة لكابتن الفضاء وصراعه الجبار مع القوى المجهولة التى استخدمت وسائل رهيبة لعودة إمبراطورية الفضاء ، وذلك فى إطار من المغامرات المذهلة المثيرة .
- أحداث غريبة فوق كوكب الصمت حيث يكون الصوت قاتلاً !
- أعجب مدينة فوق كوكب المريخ .. والنهاية التى لا يتوقعها أحد !
- عندما يسيطر الكمبيوتر على الحياة ويتدخل فى كل الشئون بقسوة وعنف .. فماذا يحدث عندما يثور البعض على هذا التحكم الآلى ؟ اقرأ الأحداث المثيرة فى الرواية الطويلة (الكمبيوتر يحكم) !

الثمن فى مصر
١٥٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

المؤلف

رءوف وصفى

فى هذا الكتاب

الصفحة

- سر الحياة الثانية ٥
- الصوت القاتل ٨١
- مدينة الأشباح ٩١
- الكمبيوتر .. يحكم ١٣٥

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع